فرناندو بيسوا: لست ذا شأن...

فرناندو بيسوا: لست ذا شأن، اختارها وترجمها وقدّمَ لها: إسكندر حبش
الطبعة الأولى ٢٠١٥

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ـ ٠١ ـ ٠٠٩٦١
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

إلى
شبيب الأمين
البديل الحقيقي

دراما في أشخاص

إسكندر حبش

هل نستطيع بعد، أن نتخطى فرناندو بيسوا؟ من منّا لم يقرأ له قصيدة، ولو مترجمة، وفي لغة غير لغته الأصل، البرتغالية؟ من منّا لم يقرأ مقالة عنه؟ حتى وإن لم نفعل ذلك، من منّا لم يسمع بعد باسمه، أو لم يشاهد صورته على غلاف كتاب أو في جريدة وهو يتنزّه أو يحتسي كأسًا في مقهاه المعتاد «البرازيلييرا» أو وهو شارد في البعيد يتأمل، كأنه يتأمل هذه «الحيوات» الكثيرة التي اخترعها.

هذا الرجل الذي «شدّ إبليس من ذيله» يرتاح اليوم في صومعة «جيرونيموس»، بين «كامويننش» و«فاسكو دي غاما». إنه هذا «الليشبوني» الذي كتب عن مدينته، الذي جعلها مثالية بعض الشيء، مثلما يجعل المرء والدته رمزًا لهذه المثالية، يقول: «أنا الشوارع الخلفية لمدينة غير موجودة، أنا التعليق المهذار لكتاب لم يكتبه أحد مطلقًا».

فرناندو بيسوا أصبح في فضاء العقود الأخيرة أحد أكبر كتّاب

العصر. هذا أقل ما يمكن أن نقوله عن هذا المصير الذي لقيه بعد موته والذي يشهد على ذلك. يكفي أن نذكر بعض الأحداث: لم تُكتشف «مُخلّفات» بيسوا (بأكملها؟) إلاّ في العام ١٩٦٨ أي بعد أكثر من ثلاثين سنة على موته، أي لم تكتشف هذه «الحقيبة السحرية» حيث كان يراكم مخطوطاته (بالأحرى الكتب، إذ لم ينشر وهو على قيد الحياة إلاّ هذا الكتاب الصغير الذي أعطاه عنوان «رسالة»[١]، وهو عبارة عن «ملحمة وجدانية في مجد البرتغال»، ماضيًا وحاضرًا). أما الطبعة البرتغالية من «كتاب القلق»[٢] فتعود فقط إلى العام ١٩٨٢. في حين أن «فاوست»، وهو كتاب يُشكل أيضًا إحدى قممه الأدبية، فلم ينشر في البرتغال إلا في العام ١٩٨٢ أيضًا.

من هنا تجيء الوثائق الكثيرة - ٢٧٤٢٣ (نصًا) - التي تؤلف جلّ عمل الشاعر البرتغالي فرناندو بيسوا، لتُكتشف بعد رحيله في العام ١٩٣٥. لذلك ما من فترة تمرّ إلا ويطفو على السطح، وجه

---

(١) ديوان شعر صغير هو الوحيد الذي نشره في حياته وقد حاز الجائزة الثانية من قبل وزارة الدعاية (الإعلام) في عهد سالازار.

(٢) عنوان الكتاب بالبرتغالية «livro do desassossego» أما الترجمة الفرنسية فتقترح عنوان «livre de l'intranquillité» وهي كلمة مأخوذة من نص للشاعر الفرنسي هنري ميشو، وهي كلمة منحوتة، غير موجودة في اللغة الفرنسية. وقد اقترح الشاعر اللبناني الراحل بسام حجار اسم «كتاب اللادعة»، مرادفا لعنوان «كتاب اللاطمأنينة». لكن كلّ هذه العناوين، أتت عبر ترجمات من خارج سياق اللغة البرتغالية عينها. فالعنوان بالبرتغالية هو حرفيا «كتاب القلق»، وقد ابقت الترجمة الألمانية مثلاً على هذا العنوان حرفيًا.

جديد من وجوه هذا الشخص الذي أراد أن يكون وحده كلّ الحركة الأدبية البرتغالية الحديثة. يبدو انبثاق بيسوا اليومي وكأنه مصنوع من أمكنة وصداقات ولقاءات ومن حقبة تاريخية تجتازه وتعنيه بشكل كبير، إذ أنه وعلى طريقته الخاصة، يلتزم بها.

الحياة الحقيقية عنده ـ وهي التي كانت مزيجة من ذكريات وأزمات ـ تبدو كأنها «حوليات التخييل»: «حوليات الحياة التي تمرّ»[١] (بحسب عنوان أحد كتبه) وهي الحياة الهشّة، فريسة الاحتمالات والعوارض، كما هي حوليات حياة كان باستطاعتها أن تنسى هذه «الحقيبة»، الثقافية جدًا، المليئة بالمخطوطات غير المنشورة أو هذه «الحقيبة المليئة بالناس» (على قول الروائي الإيطالي أنطونيو تابوكي)[٢].

فرناندو بيسوا ـ «العلاّمة» في حالته الصافية ـ هو أيضا، الحياة في حالتها الخام. كان العاشق المجنون لأوفيليا ـ كانت في التاسعة عشرة وهو في الواحدة والثلاثين ـ وقد انتهى به الأمر بأن فقدها «لأن قدره يقوم على قانون آخر»[٣].

---

(١) صدر في طبعة جيب (١٨/ ١٠) عن منشورات بورغوا.

(٢) خصّ الروائي الإيطالي الراحل انطونيو تابوكي الشاعر بيسوا بعدد من الكتب وقد عنون أحد كتبه على الشكل التالي. يذكر أن تابوكي هو الذي ترجم أعمال بيسوا إلى اللغة الإيطالية.

(٣) حول قصة الحب هذه راجع كتاب «رسائل إلى الخطيبة» منشورات «ريفاج» الفرنسية إذ بالإضافة إلى رسائل بيسوا التي بعث بها إلى حبيبته هناك شهادة من أوفيليا تروي فيها عن علاقتها بالشاعر البرتغالي.

أكنّا مخطئين في ذلك أم على صواب، تكشف لنا اليوم زيارة بيسوا مجددًا، من أن هذا الشخص، كان تقريبًا إنسانويا كبيرًا، إذ يتبدى ذلك عبر حزنه المتعذر سبره كما عبر وعيه الثقيل جدًا على الحمل، وعبر هذا الغمّ الذي قصف حياته «إلى ألف جزء» والذي جعله يعترف بالقول: «أغتاظ. أرغب في فهم كلّ شيء، معرفة كلّ شيء، إكمال كلّ شيء، قول كلّ شيء، التمتع بكل شيء، التألم من كلّ شيء، نعم، التألم من كلّ شيء. لكن لا شيء من هذا كلّه، لا شيء، لا شيء. أنهكتني فكرة ما أرغب في الحصول عليه، ما أستطيعه، ما أحسّه. حياتي حلم كبير».

في رسالة خيالية بعث بها إلى فرناندو بيسوا، يقول خورخي لويس بورخيس: «لم يكلفك شيء في أن ترفض المدارس وعقائدها، أن ترفض الصور البلاغية المتباهية أو تلك المهمة العنيدة في تمثيل بلاد أو طبقة أو حقبة»[١]. بيد أنه، ومع ذلك، كان بيسوا، وحده، يمثل أدبًا واسعًا، كان المخلوق وفاطره، مكتشف بقعة مجهولة والبلد الذي يتوه فيه. كان شبحًا أيضًا. «شخص بمئة رأس» (في اللغة البرتغالية تعني كلمة بيسوا «شخص»). وخلافًا لما كان يعتقده أوكتافيو باث، ثمة سيرة (بيوغرافيا) للشعراء وهي ليست عملهم الأدبي[٢] بيد أنها سيرة

---

(١) هناك ترجمة فرنسية لهذه الرسالة منشورة في كتاب: - Fornendo Pessoa Poète pluriel - Ed. "centre georges pompidou - La Diffèrence, Paris 1985.

(٢) ثمة ترجمة عربية جيدة لنص أوكتابيو باث هذا قام بها المهدي أخريف ونشرها=

متعددة، كثيرة الأجزاء، مشتّتة، ليس من دون وجه ولكن مع قناع ـ (إذ أن كلمة pessoa تجيء من اللاتينية personna أي القناع) ـ كان خالق فن كوسموبوليتي في الزمن والفضاء. لقد تكاثر بيسوا حين أبدع «بدلاءه»[1]. من أين تجيء الكتابة بشكل عام والشعر بشكل خاص؟ عند فرناندو بيسوا، تبدو إنها تجيء من صدع في الطفولة. في العام ١٨٩٤، كان فرناندو أنطونيو نوغيرا بيسوا في السادسة من عمره. قبل عام، توفي والده من جرّاء مرض السل. أخوه جورجي، لم يكن قد أكمل العام الأول من حياته بعد، حين رحل عن هذا الوجود. ضرب الضيق الأسرة، ومن بقي منها، انتقل إلى حيّ أفقر. والدته الأرملة الشابة، تعرفت على الكومندان جوان ميغيل روسا. أما جدته ديونيسيا، فقد دخلت بعد فترة قصيرة إلى مستشفى الأمراض العصبية في «ريليا فوليس». نجا الولد من ذلك كيفما استطاع وبشتى الوسائل. كان طفلاً ناضجًا قبل أوانه يجيد القراءة والكتابة، وقد اخترع «شخصين خياليين» كي يساعداه على العيش. هاتان الشخصيتان هما «فارس باس» (الذي قال عنه: «من خلاله كنت أكتب رسائل منه إليّ») بالإضافة إلى غريمه الكبير «القبطان تيبو».

=مع مختارات من شعر بيسوا عن «الهيئة العامة لقصور الثقافة» في القاهرة. حمل النص العربي عنوان «المجهول من لدن ذاته».

(١) استعمل هنا كلمة «البديل» للدلالة على الكلمة الفرنسية heteronymie وليس القرين التي تقود إلى كلمة le double. ثمة تعبير يستعمله المهدي أخريف وهو «الند»، وقد يصح كثيرًا.

كان ذلك بداية مغامرة كبيرة ربطت بشكل ضيق التخيل بالواقع. أبدع بيسوا عددًا من الشعراء، الذين أضفى عليهم بعض السمات الفيزيائية والسير الذاتية ومفاهيم للعالم وجماليات. وصلت هذه الشخصيات إلى حدود ٧٢ شخصية. عن ذلك يكتب الشاعر في شهر كانون الأول من العام ١٩٢٨ : «العمل المكتوب باسم مستعار، هو عمل الكاتب «بشخصه الخاص»، لكن ينقصه اسمه الحقيقي. أما الأدب البديل فهو أدب الكاتب «خارج شخصه»، انه أدب فرد مخترع من قبله بشكل كامل، مثلما هي عليه إجابات شخص منحدر من مسرحية ما مكتوبة بخط يده».

من هنا علينا تمييز الاسم المستعار كما كان يمارسه كيركغارد مثلا، عن البديل. في الأمر الأول، يبقى الكاتب وبشكل جذري هو نفسه، لأن الانمساخات لا تضع أبدًا موضع السؤال وحدة أو وحدانية الفكرة الإلحاحية المفكرة. بينما لا نجد الأمر كذلك مع «الايتيرونيمية»[١] إذ يصبح الكاتب شخصا آخر بشكل جذري. وهذا ما يشير إليه روبير بريشون بالقول على أنه «ترحل داخلي»[٢] أو ما يسميه بيسوا «دراما في أناس» (drama em gents) وهي عبارة كانت في الأصل ومن دون أدنى شك في ابتكار عبارة «poetodrame» (الشاعر المأساة) التي نحن مدينون بها إلى أحد دارسي بيسوا، قصدت الناقد جوزيه أوغوستو سيابرا.

---

(١) تعريب لكلمة heteronymie والتي تعني حرفيًا «الذي لا يملك الاسم نفسه».

(٢) راجع كتاب: Robert Bréchon: "étrange étranger - une biographie de fernando Pessoa". éd. christian Bourgois - 1996.

البدلاء الثلاثة الأساسيون المعروفون اليوم، على نطاق واسع عند القراء، هم البرتو كايرو، ريكاردو رييش، الفارو دوكامبوش. إنهم يحتلون الجزء الأول من «الأعمال الشعرية». البرتو كايرو، ولد في لشبونة العام ١٨٨٩ حيث نشأ عند عمّة عجوز، ورغب في أن يكون بدائيًا وفظًا. انه «شاعر الطبيعة» وهو التجسيد لما أسماه «الموضوعانية الحسوية»، الباحث دائمًا عن الأشياء كما هي عليه. إنه المعلم الذي لا غبار عليه لكل هؤلاء الآخرين. إذ أن بيسوا يعطيه هو نفسه ذلك الدور التعليمي. انه هو نفسه الذي يذهب إلى أبعد نقطة ممكنة في طريق «الإيزوتيرية»[1] (الباطنية الأوروبية). توفي العام ١٩١٥ لكنه بقي يكتب حتى العام ١٩٣٠!!

ريكاردو ريش، ولد في لشبونة العام ١٨٨٧، طالب في مدرسة «اليسوعيين»، تلقى علومًا لاتينية. كان طبيبًا وفوضويًا مقتنعًا، مثقفًا بشكل خارق، يحب «شقلبة» نَحو اللغة البرتغالية وقواعدها. قال عنه بيسوا: «انه نصف هيلليني صنع نفسه بنفسه». هناك أخيرًا ألفارو دو كامبوش، الذي ولد في ١٥ تشرين الأول من العام ١٨٩٠، حائز دبلوم من مدرسة الهندسة الميكانيكية البحرية، وهو كاتب «الآلات والمستقبلية»، شاعر «العبارة المسرفة»، ينشد العدم وقسوته بعنف نادر: منافس لوالت ويتمان، وجودي قبل مولد العبارة.

---

(١) الايزوتيرية (esoterique): الباطنية.

أما العمل «الأورتونيمي»[1] - أي الذي وقعه بيسوا باسمه الحقيقي - فيبدو ككتاب لا ينفذ، مليء بنصوص غير منشورة، وبملاحظات وإشارات وهوامش تشكل حلبات للسير في متاهات هذا العمل الكبير الكيميائي. خلف آلاف الوجوه، خلف هذه الصفحات المتعددة ذات الدروب التي تتعرج وتفترق، نجد كاتبًا واحدًا، معلمًا واحدًا، كآبة واحدة، هي كآبة كائن يبحث عن نفسه، تمامًا كما يقول في نص «امتياز الدروب»: «هل كان هذا الإنسان إلهًا؟ ما معنى أن تكون إنسانًا؟ ألهتنا قديمة. نسونا مثلما نسوا هؤلاء اللقطاء الكثر».

أن نقرأ بيسوا «كاملًا»، معناه أن نقرأ كامل أعمال هذا «المعلم» الشعرية، أكان ذلك في كتاباته «الإيتيرونيمية» أو في كتاباته «الأورتونيمية» وبخاصة في «الكانسينيرو»، (هذه الأناشيد المستعارة من «الفادو» الذي لا يُنسى)، والذي يضم قصائد ذات تواريخ متنوعة جدًا. نقرأ أو نعيد قراءة - و بمتعة - مختلف القصائد الحسوية والتقاطعية، وهي حركات أدبية أطلقها بيسوا الذي استوحى من التكعيبية التي كانت ولدت لتوها. هكذا تأتي قصيدة «مساء في ليما»، الجيّاشة حول الطفولة كما حول تذكرها الأليم. كذلك نجد الأقل شهرة: القصائد «الإيزوتيرية» و«الميتافيزقية». نعرف عبر القراءة أن بيسوا كان قارئًا محمومًا

(١) تعريب لكلمة orthonymie

لنوسترادамوس، إذ أنه هذا الشخص النقدي المحبذ «للثيوصوفية»[١]. بيد أن القراءة، وبالرغم من كلّ شيء، لا تشكل سوى جزء من عمل الكاتب الذي ضحىّ بأنواع المسرح والبحث واليوميات. ما أريد قوله، إنه لا يزال ينقصنا الرجوع بعد إلى الوراء كما إلى المسافة الضرورية من أجل تقدير هذا العمل المتعدد أكثر من كونه عملاً مهذارًا.

يحذرنا روبير بريشون، صاحب كتاب سيرة عملاقة[٢] عن بيسوا (وكاتب مقدمة طبعة «لابلياد» الفرنسية) بالقول: «إن الأثر الذي نريد اليوم أن نقودكم إلى زيارته أثر افتراضي (virtuel)، ما من طبعة تستطيع إن تعيد إنتاجه حتى ولا هذه الطبعة». (وكان يقصد بذلك أعمال بيسوا التي صدرت في سلسلة «لا بلياد» الشهيرة والتي أشرف على نشرها)[٣].

ثمة سببان لهذا الأمر كما يبدو: الأول يعود إلى إهمال هذا الرجل الذي لم يكن يهتم بالشهرة، حتى المتأخرة، إذ كان معتادا، ما إن يكتب، حتى يرمي كيفما اتفق مخطوطاته في حقيبته. أما الثاني فهو أمر أعمق وأقل «حكائية»، إذ يعود إلى ممارسة كان بيسوا قد أبدعها منذ طفولته الأولى وحتى موته:

---

(١) theéosophie نظرية اشراقية دينية موضوعها الاتحاد بالرب.

(٢) مذكور سابقًا.

(٣) صدرت أعمال بيسوا في «لابلياد» عام ٢٠٠١، وقد أشرف عليها باتريك كوييه، وكتب لها بريشون «مقدمة ـ دراسة» وافية، تعيد وضع الشاعر في مكانته التاريخانية والشعرية.

ممارسة مهنة «البدلاء»، هؤلاء الذين أعطاهم حياة وطبائع وأسلوبًا خاصًا بهم.

هذه «الإيتيرونيمية» تبقى من دون شك قضية حياة بيسوا الكبيرة، حتى أنها سرّ عمله الكبير. على الرغم من أنهم كانوا متخيلين بشكل كامل، إلا إنهم كانوا كائنات بكل معنى الكلمة: كانوا» أقانيم ـ إذا أردنا ـ لوعيّ مبدع ولكنه منذور أثناء ذلك إلى استقلال شبيه بذاك المتعلق بأشخاص حقيقيين وبعيدا عن أن يكونوا في علاقة تتابع بالنسبة إليه[1]. إن ألفارو دو كامبوش وريكاردو رييش كانا يتحاوران مع بيسوا كأنداد له (يستطيع البديل أن ينتقد أدب بيسوا والعكس صحيح أيضا، حتى أن البديل يستطيع أن يعبر عن موقفه بالنسبة إلى بديل آخر) وحين لا يتحاوران أو حين يتعارضان ـ كما حدث مع ألبرتو كايرو ـ فلأنه كان «معلم» هذا الأخير وأستاذه.

إن صدقنا بيسوا، فإن هؤلاء «البدلاء» قد انبثقوا يوم ٨ آذار ١٩١٤ أي كان «البينغ بانغ» الذي قرر مصير العمل طيلة حياة وقد أشار إلى ذلك في «الرسالة ـ المرجع» التي أرسلها إلى صديقه أدولفو كاسيه مونتيرو (العام ١٩٣٥) وهي رسالة يعتبرها البعض بأنها الشبيه أو المعادل البرتغالي لـ «رسالة الرائي» التي

---

(١) راجع هذه الفكرة في كتاب Pessoa, Poéte Pluriel الصادر عن مركز جورج بومبيدو، العام ١٩٨٥ ، بمناسبة المعرض الكبير الذي خصص له ذاك العام في العاصمة الفرنسية.

كتبها «رامبو» إلى «دميني». إنها يوم النصر («يوم الظفر» كما يسميه) في حياته[1].

«ألم يكن يوم ٨ آذار من العام ١٩١٤، التاريخ الأكثر روعة في الأدب المعاصر؟» هذا ما طرحه يومًا الكاتب «الجدّي» جورج شتاينر. من دون شك إن تجربة البدلاء هي من دون شبيه في تاريخ الأدب والفكر، إنها تجربة قد لا تقبل من دون أي شرح نهائي. نخطئ إذا اعتبرنا أننا نقصر السر، ومع ذلك نستطيع أن نحاول تحديد هذه المجازفة. بالنسبة إلى روبير بريشون يشكل الأمر بداية إستراتيجية وجودية سمحت لوعي منطو في أنا طارئة متفردة، محددة، بأن تتكاثر بحرية في الفضاء التخييلي. ما معنى ذلك؟ إن «الإيتورينيمية» هي المأساة، النفسية كما الشعرية لحياة ما: حياة موظف متواضع في مكتب، حيث أن الإبداع كان يتعذب في إيجاد مخرج من الأطر التقليدية للحياة الواقعية كما للفن.

قبل سنة من موته في كانون الثاني من العام ١٩٣٥ أعطى فرناندو بيسوا تعريفا نهائيا لنصف بديله هذا: برناردو شواريش، المفترض أن يكون كاتب رائعته «كتاب القلق»، وهو دفتر يوميات كبير بمئات الصفحات يمكن لنا أن نقرأه على انه يوميات فرناندو بيسوا. لقد جعل برناردو شواريش مساعد محاسب كان

(١) Fernando Pessoa: "Sur les hétéronymes" Traduit du portugais et préfacé por Rény Hourcade - Ed. "Unes".

ينبثق ويطفو على السطح حين يكون متعبًا أو مسرنما، أي حيث تصبح صفات التفكير عنده أو صفات الكبت بطيئة جدًا. نثره هو نثر قصائده: «هذيان مثابر» إنه نصف بديل، قال بيسوا، لأن «شخصيته ومن دون أن تكون شخصيتي ليست مختلفة حقًا عني. إنها ببساطة قطعة مني. إنها «أنا» بدون العقلانية والعواطفية».

لنحفظ جيدًا هاتين الكلمتين: العقلانية والعواطفية. عند قراءتنا لهذه الأعمال الشعرية، نفهم أنهما كانتا في قلب حياة فرناندو بيسوا الواقعية. لمّا كان طفلاً، كان لديه الميل لأن يخترع حوله عالمًا متخيلاً، بأن يحوط به الأصدقاء والمعارف التي لم توجد أصلاً. إنها على العكس من بطل فيلم «فهرنهايت ٤٥١» الذي يؤكد: «الكتب ليست أشخاصًا. أقرأ وأنظر حولي، لكنني لا أرى أحدًا».

بالنسبة إلى بيسوا، الكائنات الواقعية هي من دون شك اقل ألفة من كلّ شخصيات الأدب. هذا ما يؤكده شعره. وإذا ما وجدنا روحانيًا يستطيع الادعاء بأن هناك معرفة شخصية وبرؤية واضحة للمسيح، فان المخلوق الإنساني يستطيع الادعاء بمعرفة شخصية وبرؤية واضحة للسيد بيكويك. الأساس: الحياة الواقعية ليست سوى بناء ذهني.

إذا كان بيسوا يعكس في عمله القلق الميتافيزيقي لعصر ما (سؤال الله والهوية) فانه لم يكن ليؤكد أكثر، فرادة رغبته المتعذر تبسيطها: ليس فقط في الإحساس، مثلما قيل بعد رامبو

(«أريد أن أحس بكل شيء وبجميع الأشكال») ولا حتى في معرفة ذلك على طريقة فاوست (كما بورخيس، قرأ بيسوا كلّ شيء وقد أرعبته جميع عبارات المعرفة) وإنما ـ لا أكثر ولا أقل ـ أن يكون موجودًا كله.

كان فرناندو بيسوا يقول بأنه «ليس ذا شأن». ربما لأنه لم ينشر في حياته سوى القليل القليل. لكن بعد موته، عُثر على تلك الحقيبة التي عرفت شهرة واسعة، بقدر صاحبها، إذ كانت تحتوي على عدد كبير من المخطوطات غير المنشورة (وبحسب إحصائية دقيقة لأحد دور النشر البرتغالية، فقد كانت تحوي ٢٧ ألفًا و٥٤٣ نصًا غير منشور لبيسوا)[١]. مع اكتشاف تلك الحقيبة هذه، عرف الجميع أن بيسوا قد أبدع أو اخترع عدة «بدلاء»، ليكتب تحت هذا الاسم جزءًا كبيرًا من أدبه. في عمله هذا، لم يكتب بيسوا تحت غطاء الاسم المستعار، بل أبدع هذه الأسماء كي يبدع أعمالاً مستقلة الواحدة عن الأخرى. وبالطبع، تجيء بعض هذه الأعمال، لتكون مستقلة عن أعمال بيسوا نفسه.

ألبرتو كايرو، ألفارو دو كامبوش، ريكاردو رييش، هم البدلاء الثلاثة الأساسيين الذين أبدعهم بيسوا. هناك بدلاء آخرون بدون شك، إذ يحصي جيرار دو كورتانز، في مقالة نشرها في

(١) يمكن الاطلاع على هذه الإحصائية في العدد الذي خصّته «الماغازين ليتيرير» (المجلة الأوروبية) عن بيسوا، العدد رقم ٢٩١، شهر أيلول/ سبتمبر، ١٩٩١ .

«المجلة الأدبية» الفرنسية ٧٢ اسمًا[1]، من ذوي القيمة المختلفة، بدءا من الفارس دو باس، الذي ابدعه بيسوا وهو في السادسة من عمره، ليبعث عبره، العديد من الرسائل، مرورًا - في سن الرشد - ببرناردو شواريش وباشيكو (مريد كامبوش الفاشل)، وغيديش وأنطونيو مورا، منظر «الباغانية» (الوثنية)، إلى رافاييل بالدايا وفديريكو ريشش (ناقد ريشش الآخر) وتوماس كروس (عاشق ومؤلف الكلمات المتقاطعة) وصولا إلى تشارلز وألكسندر سيرك (يكتبان بالانكليزية) وجان سول (صحافي فرنسي ساخر) الخ... لقد اخترع بيسوا إذًا، عالمًا متكاملًا (في الكتابة طبعًا) كما اخترع قيمة ومجموعة أدبية لا تقتصران على اسم معين أو عمل ما، لكنهما موسومان بالتعدد، كما لو أن خلف هذه الاختراعات كان يختفي عند بيسوا، ذلك الشعور المكبوت بنقص أدب عصره، مما جعله في النتيجة، يسعى إلى إغنائه، وربما إلى تحويله. من هنا نجد أن بيسوا وبدلاءه، هم المحاولة الجذرية التي تنطلق من شخص واحد لتأسيس كوكبة أدبية، تعبر عن وجهات نظر وكتابات مختلفة (شعر، نثر، نقد، صحافة، أدب، كلمات متقاطعة، قراءة أفلاك...) ولغات عدة (كتب بيسوا بالبرتغالية والانكليزية والفرنسية بالرغم من أن مستواها كان متفاوتًا).

---

(١) المرجع السابق.

إزاء ذلك، نستطيع القول إن العمل لم يكن الإنسان نفسه، أي لم يكن منحدرًا جينيًا ليشكل جزءًا من السيرة الذاتية، بل كان (أي العمل) كما البديل، يأتي «من الكاتب خارج شخصه» مثلما أكد بيسوا مرارًا، أو مثلما يقول الشاعر المكسيكي أوكتافيو باث، وبشكل مقتضب: «ليس للشعراء من بيوغرافيات، أشعارهم هي بيوغرافياتهم»[1].

رأى الشاعر الفرنسي والمترجم أرمان غيبير (وهو الذي يعدّ، بعد بيير هوركاد، من أوائل الذين قدموا بيسوا باللغة الفرنسية العام ١٩٣٣، ما جعل الفرنسيين يكتشفون الشاعر البرتغالي في فرنسا) أن البدلاء الثلاثة، الأساسيين، هم أقانيم تناظر الأقانيم المسيحية العائدة للثالوث الأقدس (الأب والابن والروح القدس). من هنا، تبدو كلّ شخصية، في الجوهر، مختلفة عن الاثنتين الباقيتين. لذلك، إن كان بوسعنا اليوم، أن نعتبر كايرو وكامبوش ورييش، شعراء مستقلين، فإن ذلك بالطبع، لا يعود إلى أنهم ينحدرون من رجل واحد، بل لأن عملهم لا يزال حيًّا بعيدًا عن هذا الرجل (انسحب بيسوا بعيدًا عن إبداعاته الأخرى، كما يقول في إحدى رسائله) ولأن النسق المكون لكل واحد، لا يزال يتحرك داخل كلّ عمل على حدة وبشكل متماسك، وبدون أن يكون هناك حاجة لأن نضيف عليهم وسائل إضافية (أكان ذلك يأتي من بيسوا أم من بدلائه الآخرين أنفسهم). لقد

(١) مرجع مذكور سابقًا.

«أبدعت، حينذاك، عصبة غير موجودة. ثبت ذلك كله في قالب الواقع. رقمت التأثيرات، عرفت الصداقات، سمعت في داخلي الجدالات واختلافات وجهات النظر، وفي ذلك كله، تراءى لي أنني كنت أقل حضورًا، أنا مبدع ذلك كله...».

ولد هؤلاء كلهم يوم ٨ آذار من العام ١٩١٤، وعلى قول بيسوا، كان «يوم الظفر»، أي أن الشاعر ضحى بنفسه ليتوارى وليخترع بدلاءه الرئيسيين (كايرو، كامبوش، رييش) أو أقنعته الخاصة، وليقبل في متابعة «القضية» من بعد. في ذلك اليوم، كتب بيسوا القسم الأكبر من قصائد كايرو «حارس القطيع»[١] كما «مطر مائل» لكامبوش (نشرها في السنة التالية في مجلة «أورفو») دفعة واحدة، كما أكد مرارًا (وإن كان بعض الباحثين يشكون في ذلك).

أعتبر ألبرتو كايرو بمثابة معلم للجميع، بما فيهم معلم بيسوا نفسه. ما جمعهم: الباغانية، تلك النظرية الفلسفية الأخلاقية الحسوية (مذهب قائل بأن جميع الأفكار ناشئة من الأحاسيس) التي أبدعها كامبوش، وقد تأسس مذهبها الجمالي حول المواجهة بين الحياة والطبيعة. ترفض الباغانية هذه، كلّ أنواع الميتافيزيقيا وبالطبع كلّ أنواع التأمل بالمعنى الذي نجد فيه أن ليس هناك حقيقة في الأشياء إلاّ الأشياء نفسها والاحساس بهذه

(١) صدرت الترجمة العربية الكاملة لهذه القصائد عن «منشورات الجمل» عام ٢٠٠٧ (بترجمتي).

الأشياء، بمعنى آخر، ليس هناك أي جانب للظاهر وأي جانب للجوهر، وإنما الكل، يشكل كلاً واحدًا لا يسمح برؤية الوجود إلا حاضرًا صافيًا وبلا واسطة، متجددًا على الدوام.

لم تكن باغانية كايرو هي عينها باغانية رييش أو باغانية كامبوش. نحن أمام ثلاثة أسماء، أي أمام ثلاثة طرق في عيشها والتفكير بها. لم يكن كايرو (المفترض أنه كتب شعره بين عامي ١٩١١ و١٩١٥، على الرغم من أن قصيدة «الراعي العاشق» تعود في الواقع إلى العام ١٩٣٠) ينظر إلى الطبيعة (لو فعل ذلك لبدا الأمر جسيمًا) بل كان يشاهدها. وبما أنه يشاهدها موضوعيًا، فقد كتبها بهدوء ومن على مسافة بوضوح وزهد. كانت المشاهدة تدخل في مجال المباشرية، التطلع في مجال التفكير، أي أن المشاهدة، ببساطة هي التأكد، أما النظر، فهو الذهاب إلى ما وراء التأكد، أي العمل على مشاركة العاطفة والتفكير. من هنا، كان الواقع عند ألبرتو كايرو، حشوًا (تحصيل حاصل) يدل عليه ببساطة، لذلك كثرت «الكليشيهات» في قصائده، لتسير بشكل متواز مع استعماله «للموتيفات» المقلدة، المستعادة (موتيف الرعوي في «الراعي العاشق» التي تبدو أيضًا كليشيه أخرى).

أما بالنسبة إلى ريكاردو رييش، فنجده يستند إلى تقليد كلاسيكي، إلى نوع من «النيوكلاسيكية» الحداثوية، «الصفاتية» والمتقعرة، والتي هي في الوقت عينه، نوستالجيا منهمكة في

زمنها، على تضاد مع افراطات الحداثة وعلى بيّنة من أزمة القيم في عصرها. ما كان ينقص كايرو، بحسب رييش، ذلك النظام الذي لا يستطيع الحصول عليه مع البيت الحر الحديث. إلا أنه، وبفضل علم العروض (بدون أي خطأ) يستطيع أن يساهم في انبثاقها. على البنية في البداية أن تكون صلبة وفي غاية الكمال (قصائد ذات شكل ثابت)، من هنا، كان يجب استدعاء القدماء مثل هوراس أو أناكريون كي يستطيع رييش، بعدها، أن يبني داخل هذه البنية، نظرته الباغانية. في حين كان يكفي كايرو، أن يرى. كان رييش، بحاجة في أناشيده، إلى أن يبرهن على سيطرته داخل هذه الشبكة المشدودة من التأثيرات الشعرية التي ينتهي بها الأمر بتقنيع الواقع. والحال كذلك، نجد أن الواقع غير ممكن، إذ أنه، أيضًا، واقع مجرد وملموس وفارغ، غير محدد وصغير جدًا، غير مرئي خلف لعبة العروض التي تحل مكانه. لذلك تطرقت موضوعات رييش إلى الحياة القصيرة، إلى القدر القاسي، إلى خيلاء العالم. بمعنى ما، كان بيته الشعري، يمسك العالم كي لا يقع في العدم.

أما من ناحية كامبوش، هذا «الداندي المتشرد» (بحسب تعبير باث)، فقد كان ذا «تحديد ممتاز» يحيلنا دائمًا إلى «الانحرافات الإنكليزية»، إلى بهائها وانحطاطها (الممتزجين ببعضهما البعض)، ليقودنا إلى الهوس. إن باغانية كامبوش، الحديثة، تكمن في هذا التلذذ بعالم هو فريسة طوفان الحديد والفولاذ،

اللذين يلطفهما الغضب واليأس، بل أكثر من ذلك، يبدو وكأنه يلغيهما.

من هنا، وبمعنى من المعاني، كان كامبوش شخصًا محرضًا يبهجه وصف الكارثة، وصف الفظاعة، فذلك هو سبيله الوحيد إلى المشاركة بالكارثة والفظاعة. كان يرغب في أن يكون من «الفتوات»، شخصًا يقمع، كي يقنع المخجل والشائن، والذي اعترف في قصيدته «Lisbon Revisited»[1] بأنها باطلة. كان كامبوش مستقبليًا بلا أوهام، إذ أحال مارينتي إلى إحدى كليشيهات الحداثة، ومع ذلك، فان اطناب كامبوش اللغوي، هو ما منع العالم في أن لا يكون سوى حفرة فاغرة وبلا قعر. ليس شعره شعر من القليل جدًا (كما عند كايرو) ولا من الجيد جدًا (كما عند رييش) بل من القصير جدًا. من هنا جاء الاختصار والتقطيع الآلي (نشيد الظفر).

تتفكك اللغة عنده كما يتفكك الواقع. اللغة تضلل الواقع. نجد بذرة ذلك في قصيدته «O piario» (وهي قصيدة كامبوش الأولى، لكن في واقع الأمر، جاءت في مرحلة متأخرة، إذ أن بيسوا تلاعب بتاريخها) التي تفشي ما كان عليه الشاعر قبل لقائه مع كايرو: وجهه الفتي وأبياته الرعناء قليلاً (بحسب إرادة بيسوا) ومحاولاته في رفض العالم أو التحريض على رفضه.

---

(١) من القصائد التي كتبها بيسوا بالإنكليزية مباشرة.

في إحدى قصائده، «تخطيط ذاتي»، يقول بيسوا: «التظاهر ميزة الشاعر». من هنا، حاول أن ينوجد وأن يعرف نفسه مرات عدّة، مع العلم أنه لم يكن يعرف إن كان هو أو بدلاؤه، هم الذين وجدوا. إذ أن الموضوع وما يتعلق به، يمتزجان، أو كما كان بيسوا نفسه يقول وبسخرية كبيرة «في هذه المادة، كما في كلّ شيء، لنكن غير دوغمائيين».

يعرف جميع قرّاء فرناندو بيسوا أنه لم يكتب يومًا ما اصطلح على تسميته، بلغة الأدب، «بالشذرة» إذ أن «الاختصار» كان ضد طبيعة الشاعر، بالأحرى كان يُعدّه ضد الطبيعة البشرية، على الأقل إذا كان يكتب نثرًا. ألم يقل في «كتاب القلق»، وبسخرية: «لم يتراءى لي البتة أنه بين نقطتين أ. و ب. كان الخط المستقيم أقصر الطرق». من هنا شكل الاختصار بالنسبة إليه أمرًا أسوأ من اللامعنى أو من غيابه.

ومع ذلك، أقدم هنا، «مختارات من الأفكار المختصرة» العائدة لبيسوا التي كان قد رماها صدفة على الأوراق (التي أصبحت كتبًا في ما بعد) وبشكل متفرق، ما يتيح لنا، في نهاية الأمر، أن نتعرف على ما يمكن تسميته «الفكر الفلسفي» لهذا الشاعر.

بهذا المعنى، يمكن لنا أن نقول إن بيسوا مثله أوسكار وايلد أو مثل برنارد شو، كان يتحكم بالسخرية بحرفنة كبيرة وإن جاءت بحجم مختلف. فما كان يتراءى لهذين الكاتبين البريطانيين

بمثابة نزوة أو نتوء، كان يشكل عند بيسوا تجربة خام، ومن دون أي استعداد، لفكر مرير، أليم في أغلب الأحيان، مولود من تجربة طويلة في التوحد والانعزال. هو توحد عاطفي، إذا جاز التعبير، لكنه أيضًا توحد هذه الروح العليا التي ترغب في أن «تقتل» هذه التفاهة المسيطرة على كلّ شيء.

هذا الانعزال الموسوم بالقسوة، أو بالأحرى بعزة النفس المتطلبة، هو ما يشكل السمة المسيطرة على هذه التأملات والشذرات المتناقضة، التي أترجمها هنا والتي اقتطعها من قصائد ونصوص متفرقة.

وسيتعرف قرّاء بيسوا بالتأكيد على الموضوعات التي يقترب منها والتي جاءت عبر بيسوا نفسه كما عبر بدلائه وبخاصة برناردو شواريش أو ألفارو دو كامبوش أو حتى البارون دو تيف. شذرات تخبرنا عن مكانة الإنسان في هذا الكون، عن مسألة وجود الله، مواجهة الوعي البشري مع الفن أو مع الحب... بالإضافة إلى العديد من الموضوعات التي سبق له أن عالجها وتحدث عنها في كتبه السابقة. كلّ بيسوا الفكري هنا، لكنه «باختصار». ومع ذلك، اختصار يحدثنا بالكثير الكثير.

شأنه، شأن باقي الفنون، ليس الأدب سوى اعتراف بأن الحياة لم تعد تكفي.

* * *

الفن بأسره، هو نوع من الأدب، لأن قوامه قول شيء ما.. ثمة طريقتان للحديث: الكلام والصمت. من هنا، إن الفنون التي ليست أدبًا، ما هي سوى انعكاس لهذا الصمت التعبيري.

* * *

الحقيقة الوحيدة في الحياة، هي الأحاسيس.

أما الحقيقة الوحيدة في الفن: وعي هذه الأحاسيس.

* * *

الفن، في نهاية الأمر، هو التعبير المتناغم عن وعينا للأحاسيس، بمعنى آخر علينا أن نعبّر عن أحاسيسنا بشكل تستطيع معها أن تبدع *شيئًا يصبح للآخرين بمثابة إحساس.*

مبادئ الفن هي:

١) يجب أن يعبر عن كلّ إحساس بطريقة كاملة؛
٢) يجب أن يعبر عن الإحساس بشكل نستطيع أن نتذكر معه؛
٣) على ما يتكون عندنا من مجموع ذلك أن يشبهه، بقدر الإمكان، كائنًا منظمًا: لن يعيش إلا وفق هذا الشرط.

* * *

مدين أنا للمهمة التي أحس أني استثمرت كمالاً مطلقًا في تحقيقها، بهذه الجدية الكاملة في الكتابة.

* * *

ربما، لم أتلق أي مهمة على الأرض.

* * *

ليس عندي أي طموح، ولا أيّ رغبة
طموحي أن لا أكون شاعرًا
إنها طريقتي الخاصة لأكون متفردًا.

* * *

الشاعر هو من يذهب دائمًا إلى ما وراء ما يمكن أن يقوم به.

* * *

الشاعر الأسمى هو من يُعبّر عن الذي يحسّ به حقًا. الشاعر

المتوسط، هو الذي يقرّر ما سيشعر به، أما الشويعر فهو الذي يؤمن بما سيحسه.

* * *

أحيانًا، ثمة نشوة جمالية كبيرة بأن ندع عاطفة ما تمر، من دون أن نتكلّم عنها، على الرغم من أن مرورها يتطلب الكلمات. ليس لدى أيّ شاعر الحق في أن يكتب القصائد لأنه يشعر بحاجة إلى ذلك.

* * *

لا أهتم أبدًا بالقوافي. فمن النادر جدًا أن تجد شجرتين متقاربتين، متشابهتين.

* * *

كشكل فني، أُفضل النثر على الشعر.

* * *

يحدث لي أن أؤكد أن قصيدة هي شخص، كائن حيّ، ينتمي - بحضوره الجسدي ووجوده الشهواني - إلى عالم مختلف حيث ترميه مخيلتنا فيه.

* * *

أن أخترع في داخلي دولة وسياسة وأحزابًا وثورات، وأن أصير ذلك كلّه، هذا يعني أنني إله داخل حلولية هذا الشعب الذي هو أنا. يكمن الجوهر في حركة هذه الأجساد والأرواح والأرض التي يفتشون داخلها، وداخل هذه الأفعال التي يقترفونها. أرغب في أن أكون كلّ شيء، أن أكونهم «هم» وأن لا أكونهم؟ يا لتعاستي. هاكم أيضًا حلم لا أستطيع تحقيقه.

* * *

لم تفارق مخيلتي أبدًا هذه الرغبة في أن أدع عالما آخر يحيا حولي ويشبه هذا العالم الذي نعيش فيه، لكنه عالم مأهول بأناس آخرين.

* * *

ما يحدث لي، في العمق، هو أنني صنعت من الآخرين حلمي الخاص، خضوعي لأرائهم كي ألائمهم (بما أنه لا أراء لي البتّة، فلماذا لا تكون آراءهم أو أي أشخاص آخرين)، كي أخضعهم لذوقي ولكي أجعل من شخصياتهم شيئا ما يشبه أحلامي.

* * *

هل لأن عادتي في أن ألتفّ في أرواح الآخرين، تدفعني لرؤية نفسي مثلما يروني هم أم يروني إن كنت أؤليهم أدنى اهتمام؟ أجل.

* * *

في كلّ يوم تسيء المادة معاملتي. حساسيتي شعلة في مهبّ الريح... أسير وسط الأشباح العدوة التي شكلتها مخيلتي وثبتتها على شخصيات حقيقية.

* * *

لنعطي كلّ عاطفة، شخصية ما. ولنعطي كلّ حالة نفسية، روحا.

* * *

كم هو قاس أن لا نكون أنفسنا وأن لا نرى إلا ما يُرى.

* * *

أجل، أحلم بأن أكون، على سبيل المثال، في الوقت عينه وبشكل مستقل، وبدون ارتباك، بأن أكون رجلاً وامرأة في نزهة، يتنزهان على ضفة النهر.

* * *

روحي أوركسترا سرّية؛ أجهل أي آلات سأنقر وأي منها ستصرّ داخلي. لا أعرف نفسي إلا بصفتي سيمفونية.

* * *

لتكن متعددًا مثل الكون.

* * *

البارحة، على سبيل المثال، تعرضت إلى تأثير بعض صفحات الاحصاءات المنعشة. لو فكرنا فيها جيدًا، لوجدنا أن سرّ الكون موجود فيها أيضًا. حتى وإن كان لا يظهر.

* * *

أمرّ وأبقى هنا. تمامًا مثل الكون.

* * *

متى سينتهي هذا الليل الداخلي، متى سينتهي هذا الكون، وأنا وروحي. متى سأرى نهاري، متى سأنتبه أنني استيقظت.

* * *

ننام الحياة كلها. إننا أطفال القدر الأبديين.

* * *

نحن عبيد النجوم القلبيين.
نجتاح العالم قبل أن نخرج من السرير.
لكننا نستيقظ، إنه سميك.
ننهض، إنه غريب.
خرج من منازلنا، إنه الأرض بأسرها،
والنظام الشمسي، ودرب المجرة، وغير المحدد.

* * *

لم يخلق العالم كي نفكر به.

فالتفكير يسبب مرضًا في العينين.

بل لننظر إليه ولنتفق معه.

* * *

لنلفّ العالم حول أصابعنا مثل خيط أو منديل تلعب به امرأة تحلم على نافذتها.

* * *

آه يا لغز الزمن المرئي، هذا اللاشيء الحيّ حيث نحن.

* * *

في نهاية شهر آذار/ مارس (إن لم أكن مخطئًا)، أصبحت وسيطًا. بدأت الكتابة الآلية.

* * *

أؤمن بوجود عوالم أعلى من عالمنا يسكنها أناسٌ، يحييون بمستويات مختلفة من الروحانية، يرتقون فيها لغاية كائن أسمى، يبدو فعلاً أنه خلق هذا العالم.

* * *

يتأسس قدري من قانون مختلف، تجهلون حتى وجوده، وهو

خاضع، أكثر فأكثر لمعلمين لا يشعرون بالرضا ولا يسامحون. لستم بحاجة لأن تفهموا ذلك.

* * *

مهما كان عليه من أمر، وليتقدس اسمه، وليكن كذلك، أُفلت يدَ من أتبعه، وفق ما يأمر به القدر وما تنتجه الصُدفة، مخلصا لقسم منسيّ.

* * *

مجنون، بلى، مجنون لأنني رغبت في العَظَمَة
التي لا يعطيني إياها القدر.

* * *

أحيانًا، في الليل، أغمض عينيّ لتتراءى لي سلسلة من اللوحات الصغيرة المتتابعة، لوحات عابرة لكنها واضحة جدًا (واضحة مثل العالم الخارجي): فيها شخصيات غريبة، رسومات وشارات رمزية، أعداد (سبق لي أن رأيت أعدادًا) إلخ... وأحيانًا ـ وهذا شعور غريب ـ أحس فجأة أنني أنتمي إلى شيء آخر.

* * *

كل ذلك مطبوع بأحرف صغيرة في كتاب يتفكك غلافه.

* * *

أجدني في حالة من القلق والكرب الثقافي
لا يمكن لكم أن تتخيلوها.

* * *

أحس بأني لست سوى ظل
خيال لا مرئي يرعبني.

* * *

أمضيت الشهور الأخيرة، وأنا أمضي الشهور الأخيرة. لا يوجد هنا إلا حائط الضجر الذي تعلوه كسور الغضب الكبيرة.

* * *

أنا في واحد من هذه الأيام *التي لم أعرف فيها أي مستقبل*. لا شيء سوى حاضر ثابت محاط بجدار من القلق.

* * *

سيبقى عند آخر هذا النهار ما تبقى من الأمس، ما سيتبقى من الغد: القلق النهم، الذي لا يحصى ليبقى أبدًا ذاته، مختلفًا أبدًا.

* * *

لهذا السبب لم يحكم الأمير... كم أن هذه الجملة عديمة

المعنى. لكنني أشعر، في هذه اللحظة، بأن الجمل، عديمة المعنى، تعطيني الرغبة في البكاء.

***

تؤلمني الحياة، بضربات صغيرة، بخطوط صغيرة، بشكل متقطع.

***

روحي دوامة سوداء، دوار سحيق حول الفراغ، تطلّع محيط بدون قرار إلى ثقب في العدم؛ وفي هذه المياه، بالأحرى في هذه الدوامة، تطفو دائمًا الصور التي استطعت رؤيتها وسماعها عبر الكون.

***

عبر الدوار الجسدي، يدور العالم الخارجي حولنا؛ في الدوار النفسي هو عالمنا الداخلي الذي يدور. في لحظات أشعر أني أفقد وعي العلاقات الحقيقية بين الأشياء، بأني لم أعد أفهم شيئًا، بأني أقع في هاوية من الفراغ الذهني. إنه شعور رهيب، يصدمنا بخوف لا قياس له. تصبح هذه الظواهر متواترة، تتراءى وكأنها تخطّ طريقي صوب حياة ذهنية جديدة، هي الجنون بالتأكيد.

***

جسديًا، أنا مطوق.

* * *

من وجهة نظر نفسية، أنا نوراستاني(*) ـ هيستيري، لكن ولحسن الحظ، إن ذهاني العصبي ضعيف؛ يهيمن العنصر النوراستاني على العنصر الهيستيري.

* * *

أحد آلام روحي ـ وهو رعب لا يوصف ـ الخوف من الجنون، وهذا هو الجنون بحدّ ذاته. من المستحيل تحديد هذه النبضات ـ بعضها مجرم وبعضها بدون معنى ـ ما يعذبني أنها حين تصل إلى مبتغاها، تشعرني برغبة مرعبة في التصرف، بتعضيل مرعب، بإحساس في العضلات، وهذا ما يبدو لي راهنا أكبر من أي زمن مضى، عبر ذبذباته كما عبر عنفه.

* * *

يستطيع الرجل، إذا كان حكيمًا فعلاً، أن يغتبط من العالم بأسره، وهو جالس على كرسيه، إن كان لا يجيد القراءة أو الحديث مع الآخرين... يستطيع ذلك بحواسه فقط، شرط أن يكون حزين الروح.

* * *

(*) منهك عصبيًا.

لنحس كلّ شيء، في جميع الأحوال.

* * *

«أن تحس الأشياء» مجددًا... أيّ ملل هذا!

* * *

أنا حارس قطيع.
القطيع، أفكاري
وأفكاري هي كلّ أحاسيسي.

* * *

آه، الأحاسيس، مرضى يرون ويسمعون!
آه، لو كنّا مثلما كان يجب أن نكون عليه
ولو تكون في داخلنا هذه الحاجة للوهم...
لكنّا اكتفينا بتحسسِ الأشياء بوضوح
ولما كنّا لاحِظنا وجود الأحاسيس.

* * *

تضاعفت كي أُحِسني،
ولأحسني، احتجت إحساس كلّ شيء؛
فِضت، انتهى بي الأمر بأن أنتشر...

* * *

يفترض أن نكون طبيعيين وهادئين
في الشقاء والهناء
أن نحسّ مثلما ننظر
أن نفكر مثلما نمشي،
وعلى حافة الموت، أن نتذكر بأن النهار يموت...

* * *

ليس مهما أن نشعر بما نعبر عنه: يكفي، إن فكرنا بذلك، أن نعرف كيف نتظاهر بأننا أحسسنا به.

* * *

أبحث عن قول ما أحسّ به
من دون أن أقول إني أحسه.

* * *

يسيل النهر، كيفما كان،
من دون طبعة أصلية.

* * *

كل عاطفة حقيقية ليست سوى كذبة تجاه الذكاء لأنها تهرب منه.

* * *

لا تثقوا بما تشعرون به أو ما تعتقدونه حين تتوقفون عن الإحساس به أو عن التفكير. حينذاك تستطيعون استعمال حساسيتكم، لصالحكم كما لصالح الجميع.

* * *

المهم أن تجيد المشاهدة.
أن تشاهد بدون تفكير.
أن تشاهد عندما ترى
ينبغي أن لا تفكر عندما ترى
ولا أن ترى عندما تفكر...

* * *

لا ليست الأشياء وإنما إحساسنا بالأشياء.

* * *

أحسوا كلّ شيء بجميع الأحوال
عيشوا كلّ شيء بجميع الجهات
كونوا الشيء عينه، في الوقت نفسه، بكل الطرق الممكنة.

* * *

لا أجيد الإحساس، لا أعرف أن أفكر، لا أعرف أن أريد.

* * *

على التفكير أن ينطلق من المتعذّر تبسيطه.

* * *

هو التخيّل من شَكّلني.

لكي أسافر، أمسك بيدي دائمًا

أحببت، كرهت، تكلمت، فكرت، بفضله دائمًا.

كلّ يوم أنظر عبر نافذته.

وكلّ ساعة، هكذا، أبدو كأنني أنا.

* * *

لسنوات عدّة، سافرت بحثًا عن أشكال للإحساس. اليوم وبعد أن شاهدت كلّ شيء وخبرت كلّ شيء، عليّ واجب أن أنطوي على نفسي، أن أعمل قدر ما أستطيع، في جميع المجالات التي في متناولي كي أطور الحضارة وأوسع وعيّ الإنسانية.

* * *

أن نحيا يعني أن نكون آخر. ومن غير الممكن أن نحس إذا ما أحسسنا اليوم مثلما أحسسنا في الأمس.

* * *

ما من حقبة تنقل حساسيتها إلى حقبة أخرى؛ بالكاد يمكن لها

أن تنقل ذكاء هذه الحساسية. إننا ما نحن عليه بفضل العاطفة؛ أما بفضل الذكاء فنحن آخرون.

* * *

إن وعي لاوعي الحياة، لأقدم ضريبة دُفعت للذكاء.

* * *

لكلّ شخص كحوله الخاصة. فالوجود يزودني بما يكفي من الكحول.

* * *

يختلف الجميع عن بعضهم البعض. لذلك كلّ واحد منا موجود.

* * *

لشبونة، بمنازلها المختلفة الألوان. لشبونة بمنازلها المختلفة الألوان، لشبونة بمنازلها المختلفة الألوان... لكثرة ما تكون مختلفة، يصبح الأمر رتيبًا.

تماما كما لكثرة الإحساس، إذ أبدأ بالتفكير عندها.

* * *

أن نستطيع معرفة كيف نفكر! أن نستطيع معرفة كيف نحسّ!

* * *

رأسي يؤلمني. كذلك الكون.

* * *

أليس هناك من تعب ما
للأشياء
لكل الأشياء
مثل تعب الساقين أو الذراعين؟

* * *

أنا متعب وهذا أمر واضح،
إذ تأتي لحظة، علينا أن نتعب فيها...
ما سبب تعبي؟ لا أعرف:
لأن المعرفة لن تخدمني في شيء.
لأن التعب سيكون حتمًا هو نفسه.

* * *

في نهاية الأمر، النوم.
في نهاية ماذا؟
في نهاية كلّ ما يبدو أنه موجود...

* * *

في النهار أُصبح العدم. في الليل، أُصبح ذاتي.

* * *

وراء مقود الشفروليه، على طريق سينترا،
تحت ضوء القمر، كما لو في حلم على طريق قاحلة،
أقود وحيدًا، بالأحرى أقود ببطء، وأشعر
قليلا، أو أُجهد نفسي قليلاً لكي أشعر
بأني أقود على طريق أخرى، في حلم آخر، في عالم آخر،
بأني أقود من دون أن أعرف مغادرة لشبونة أو من دون أن يتوجب عليّ الذهاب إلى سينترا،
بأني أقود ـ وهل أفعل شيئًا آخر سوى أن أقود، وإلا أن لا أتوقف وأن أقود؟

* * *

لا أفكر، أحلم...

* * *

أسخف ما في الحلم أن العالم بأسره يحلم.

* * *

حياتي مصنوعة من السلبية ومن الحلم؟

* * *

أشعر بالحزن أكثر على الذين يحلمون بالحدس، بالقربى، من الذين يحلمون بالشرعي، والذين يحلمون بالغريب، وبالبعيد.

* * *

لدينا جميعنا، نوعان من الحياة:

حياة حقيقية، وهي تلك التي نحلم بها في طفولتنا، تلك التي نستمر بالحلم بها، كبارًا، وخلفنا أرضية من الضباب.

أما الحياة الخاطئة، فهي تلك التي نتقاسمها مع الآخرين، إنها الحياة العملية، إنها الحياة المفيدة، إنها الحياة التي ننهيها في الكفن.

* * *

لِمَ علينا أن ننتظر؟

- كلّ شيء

حلم.

* * *

لا أنام، لا آمل بأن أنام.

حتى أني لا آمل أن أنام عند الموت.

* * *

لا أنام. أتابع نفسي من الداخل.

* * *

على الرغم من أني كنت قارئًا نهمًا ومتّقدًا، إلا أنني لا أذكر أيًّا من الكتب التي قرأتها، قياسًا إلى أن قراءتي كانت انعكاسًا لفكري، لأحلامي، أو بالأحرى تحريضًا على الحلم.

* * *

تخطيت عادة القراءة. لم أعد أقرأ شيئًا، ما عدا الصحف، من وقت إلى آخر، وقليلاً من الأدب السهل وعند المناسبات، أعمالاً تقنية...

* * *

أحتقر القراءة، فالصفحات المجهولة تسبب لي الضجر سلفًا... لا أستطيع إلا قراءة ما سبق لي أن قرأته.

* * *

أحب أن أتحدث، بالأحرى، أحب أن أثرثر. الكلمات بالنسبة إليّ هي أجساد يمكن لنا أن نلمسها، حوريات يمكن لنا أن نراها، فجور يمكن لنا أن نجسده. ربما، لأن ليس للفجور أي أهمية بالنسبة إليّ...

لا عشيقة لديّ، ولست عاشقا؛ وهذا أيضًا إحدى مثالياتي،

أشعر العدم في روحي كاملاً. لا أستطيع أن أكون على مستوى حلمي.

* * *

سأُحبُّ أن أُحبّ.

* * *

زرعوا على فمي قُبل اللقاءات كلّها.

حركوا في قلبي، مناديل الوداعات كلّها.

* * *

أنا خجول ولا أحب أن أتحدث عن شقائي. صديق حميم، هذا ما أتمناه، إحدى أحلامي المتيقظة، لكني لن أحصل على ذلك أبدا.

* * *

وحدها الشعوب المرتدية ثيابها تتمتع بجمال الجسد العاري. العفة هي من يستفيد بخاصة من الحسيّة، مثلما يستفيد الحاجز من الطاقة.

* * *

واحد يحب روسو(*)

(*) جان جاك روسو، كاتب ومفكّر فرنسي، من أشهر مؤلفاته «الاعترافات».

هذا العاشق الكاره للبشر.

في الحقيقة، هناك الكثير، أكثر ممّا نتصور، من التجانس بيني وبين روسو. في بعض الحالات، تتشابه طباعنا. ثمة حب قاسي، كثيف، لا يعبر عنه، للبشرية، وفي مقابل ذلك، هناك جرعة ما من الأنانية: هاكم سمة أساسية من سمات طباعه، ولكن من طباعي أيضًا.

* * *

ثمة شيء يسحرني أكثر من غباء غالبية البشر الذين يحييون حياتهم: الذكاء الموجود في هذه الحماقة.

* * *

مدهش هذا النسل البشري الذي يعيش مثل الكلاب،
بعيدًا عن كلّ النُظم الأخلاقية.
الذي لم يتأسس أيّ دين له،
لم يُبدع أيّ فن،
ولا أيّ سياسية تمّ تصورها!
كم أحبكم، كلكم، لأنكم كما أنتم عليهم.

* * *

عند كلّ الذين يحيطون بي لم أجد أيّ موقف تجاه الحياة،

موقف يخفق على إيقاع حساسيتي الحميمة، تطلعاتي وطموحي، على إيقاع كلّ ما يشكل أساس وجوهر كينونتي الروحية العميقة.

* * *

لا أشكو من أنني أعيش أزمة. لكنها تقودني لأكون وحيدًا عندما أجد نفسي قد تقدمت كثيرًا رفاق دربها.

* * *

آه! لا تكن العالم بأسره وفي كلّ مكان!

* * *

العيش مع الآخرين، بالنسبة إليّ، هو العذاب. وكل الآخرين موجودين داخلي. حتى لو كنت بعيدًا عنهم، أنا مضطر للعيش معهم. وحدي، تطوقني الحشود. لا أعرف إلى أين أهرب، على الأقل لأهرب من نفسي أنا.

* * *

وأنا طفل، كنت أميل إلى اختراع عالم متخيّل من حولي، إلى أن أكون محاطًا بأصدقاء ومعارف لم ينوجدوا مطلقًا ـ (لا أعرف بالطبع إن لم يوجدوا أم أنني أنا غير الموجود. فيما يتعلق بذلك، كما فيما يتعلّق بكلّ الأمور الأخرى، علينا أن لا نكون دوغمائيين).

* * *

أتمنى ذات يوم، بعد موتي، أن تتاح لي حقًا، فرصة أن ألتقي ببعض الأطفال الذين اخترعتهم هنا لكي أجدهم رائعين في هالة خلودهم.

* * *

لم أندم على طفولتي أبدًا، في الحقيقة، لم أندم على أي شيء.

* * *

لا أرغب في أن أتذكر، أو أن أعرف نفسي.
سنكون عديدين عندما نبحث عمّا نحن عليه.

* * *

في هذا العالم الذي ننسى فيه
نحن ظلال ما نحن عليه.

* * *

كلّ شيء يتبخر منّي. حياتي بأسرها، ذكرياتي، مخيلتي وما تحتويه، شخصيتي، كلّ شيء يتبخر مني.

* * *

أن نجد شخصية في خساراتنا:
هو الإيمان عينه الذي يضمن معنى القدر هذا.

* * *

وضعوني في زاوية لا أسمع منها الآخرين وهم يلهون. أحس، في يديّ، اللعبة المكسورة التي أعطوني إيّاها للسخرية.

* * *

سأموت كما حييت، وسط سقط المتاع الذي يحيطني، موضوعًا بين حواشي الخسارات.

* * *

حتى واقعة أني سأنشر كتابا ستبدل حياتي. *لن أعود أبدًا كاتبًا لم ينشر له ـ سأفقد شيئًا إذًا.*

* * *

أيتها الشياطين المسكينة الخائرة من الجوع دومًا: جوع الطعام، جوع الشهرة، جوع تحلية الحياة.

* * *

الجوهر الموسيقي لشعري عديم الفائدة،
لو كنت أستطيع الاعتراف بك كشيء أبدعته،
ولا يتركني دائمًا أمام دكان التبغ في الجهة المقابلة.

* * *

يا صديقي العزيز، البهجة في الجزيرة المقابلة،

تلك التي تعرفها، تلك التي أعرفها، والتي لا يعرفها أحد منّا.

* * *

لا تبحث ولا تؤمن: كلّ شيء مستور.

* * *

كلي الشوكولا أيتها الصغيرة،
كلي الشوكولا!
قولي لنفسك إن كلّ الميتافيزيقيا هي شوكولا.
قولي لنفسك إن كلّ الديانات لن تعلمنا أكثر من متجر السكاكر.

* * *

الله هو الإنسان من الله آخر أكبر منه.

* * *

غياب الله، هو الله بحد ذاته...

* * *

يولد إله، يموت آخرون. لم تأتِ الحقيقة، لم ترحل: هو الخطأ الذي تغيّر.

* * *

كل بدء عمل لا إرادي.
وحده الله يتحرك.

* * *

ليس لله وحدانية.
كيف سيكون لي إذا، واحدة؟

* * *

لا أؤمن بالله لأني لم أره أبدًا.
إن. رغب في أن أؤمن به،
سيأتي ليكلمني من دون أدنى شك...

* * *

هناك كلّ الذين يستغلهم الله بنفسه، إنهم الأنبياء والقديسون عبر خواء العالم.

* * *

كلّ شيء أحمق في السماء مثل الكنيسة الكاثوليكية.

* * *

رغب الله في ذلك،.يحلم الإنسان، يولد العمل (الأدبي).

* * *

أن لا أقرأ شيئًا، أن لا أفكر بشيء، أن لا أنام
أن أشعر الحياة وهي تركض داخلي مثلما يركض نهر في مجراه،
هناك، في الخارج، ثمة صمت كبير
مثل إله ينام.

* * *

لا تنسى أبدًا الشهيد جاك دو مولاي، معلم الهياكل الأكبر، وقاتل، أبدًا وفي كلّ مكان، قتلته الثلاثة: الجهل والتعصب والطغيان.

* * *

أنا ضد كلّ ما يشبه تكتل أو طائفة...

* * *

تؤرقني فكرة أن الحقيقة، ربما هي في الواقع، في التيوصوفية(*).

* * *

ترعبني التيوصوفية، بسرّها وعظمتها الاخفائية، تنفرني إنسانويتها ورسوليتها الأساسية (تفهمون؟)، تشدني لأنها تشبه كثيرًا

(*) نظرية إشراقية دينية موضوعها الاتحاد بالرب.

«الباغانية المتعاظمة» (هذا هو الاسم الذي أطلقه على طريقة التفكير التي وصلت إليها)، ترفضني لأنها تشبه كثيرًا المسيحية التي لا أتقبلها..

* * *

هاكم مهمتنا الوحيدة في العالم
ها هي: أن نوجد بوضوح
ونجيد القيام بها بدون أن نفكر بها.

* * *

اليوم، وبعد أن قررت أن أكون أنا، أن أعيش بمستوى مهمتي، ما يعني أن أرفض فكرة المطالبة باجتماعيتي العامية، امتلكت زمام عبقريتي ووعيت هوية مهمتي.

* * *

تفاجأت اليوم وشعرت بالعار (بدون معنى، أي بدون وجه حق) لأني أعجبت كثيرًا بالديمقراطية، لأني آمنت بها، لأني اعتقدت حقًا أن القيام بمجهود لصالح هذا الكيان غير الموجود الذي نسميه «الشعب»، يستحق ذلك. لأني وبصدق وبدون أي سذاجة، اعتقدت أن هذه الدالة الاجتماعية كانت مرتبطة بكلمة «الإنسانية»، لا فقط بذاك التوافق البيولوجي البسيط المدعو «النوع البشري».

* * *

أبدا: كلّ شيء ما عدا أن أكون محقًا!

كل شيء، ما عدا أن أهتم بالإنسانية!

كل شيء، ما عدا سقوطي بالإنسانوية!

ما نفع أي إحساس، إن كان هناك منطق خارج ذلك؟

* * *

كل شيء من أجل الإنسانية، لا شيء ضد الأمة.

* * *

ليس لدي أي شعور سياسي أو اجتماعي، ومع ذلك، وبطريقة ما، ثمة شعور وطني عالي وكبير. وطني هو اللغة البرتغالية.

* * *

طبيعة روحي هي كما أكرهها بداية ونهاية ـ نقطتان محددتان ـ أن نتخيل أن كلّ ما هو برأيي يمكن أن يصبح نهائيًا، أن البشر يمكن لهم ان يكونوا سعداء يوما، وبأنه يمكن لنا أن نجد حلا لمشكلات المجتمع، كلّ ذلك يحيلني مجنونًا.

* * *

العذاب الكثيف الذي أشعره تجاه وطني، والرغبة الكثيفة في تحسين وضع البرتغال، يوحيان لي بآلاف المشاريع، التي لا

يمكن لها أن تتحقق إلا عبر رجل يمتلك موهبة لا أتمتع بها مطلقًا إدارة الإرادة.

* * *

يا أيها البحر المالح، كم من الملح فيك
إنه دمع البرتغال.

* * *

الأسطورة هي اللاشيء الذي هو كلّ شيء.

* * *

أرغب في أن أصبح مبدع أساطير، إنه السرّ الأسمى المسموح به للمهمة الإنسانية.

* * *

كل شيء مريب ويذهب إلى نهايته.
كل شيء مبعثر، وما من شيء متكامل
آه يا برتغال، لست سوى ضباب اليوم
لقد حانت الساعة.

* * *

العالم مُلك ذاك الذي يولد ليحتله

لا ملك ذاك الذي يحلم بأنه يمكن له أن يحتله حتى وإن كان محقًا في ذلك.

* * *

ها أنا فقدت لُحمة موضوعي.

* * *

سأنهمك بتغيير كبير في حياتي: سألغي نبرة العوض من فوق اسمي.

* * *

أهتم بالحياة كما يهتم بها مفكك الألغاز.

* * *

لو أتزوج ابنة «الغسالة»
لربما أصبح سعيدًا

* * *

أعطني لأشرب، لست عطشًا.

* * *

ثملاً، يهوي جالسًا إلى طاولته ليكتب افتتاحية لمجلة «التايمز»،

مقالة واضحة، غير مقننة، عليمة: كان يأمل (المسكين) أن يمارس تأثيره على العالم.

....

يا سيدي وإلهي! لقد حدث ذلك.

* * *

لا يمكن للنكتة أن تسرني أو أن تهزني إلا للحظة، وبطريقة عابرة، خلال فترة مرعبة وانتقالية وبذيئة من حياتي (لكن لحسن الحظ هي فترة غير واسمة).

* * *

أفضل طيران العصفور الذي لا يترك أثرًا

على مرور البهيمة التي تترك وسمتها على الأرض.

* * *

الهوة سياجي

ما من قياس لأكون أنا.

* * *

أنا لست ذا شأن

ولن أكون ذا شأن

ولا أستطيع أن أكون ذا شأن

عدا ذلك، أحمل في نفسي كلّ أحلام العالم..

* * *

اليوم، عرفت، دفعة واحدة، إحساسًا عبثيًا وصائبًا: وعيت، دفعة واحدة، بأنني لم أكن أحدًا.

* * *

إن كنّا لا نستطيع أن نتحصل فجأة على الصحة الرائعة التي تلغي الأحلام والآراء، لنجتهد على الأقل إذا في كسب صحة الامتناع الاصطناعية.

* * *

أستطيع أن أتخيل كلّ شيء، لأنني في الحقيقة لست بذي شأن.

* * *

لكي أبدع، دمرت نفسي؛ أخرجت نفسي جيدًا إلى الداخل.
لا أنوجد حقًا في الداخل أكثر من الخارج.

* * *

لا أعرف ما سأكون عليه، أنا الذي لا يعرف من أنا؟
أأكون من يفكر؟ أفكر بأنني العديد من الأشياء.

* * *

لم أعد أخص ذاتي. أنا قطعة من ذاتي محفوظة في متحف مهمل.

* * *

ربما للمجد طعم الموت وعدم الفائدة
وللنصر رائحة العفونة

* * *

رغبت في أن أتقيأ ما رأيته، أن أتقيأ بسبب ما رأيته فقط.
معدة الروح تضطرب بكوني أنا.

* * *

الكل هو نحن ونحن كلنا جميعا؟ لكن ما نفع ذلك كله إن كان هذا الكل لا شيء.

* * *

ثمة الكثير من الميتافيزيقا في أن لا تفكر بشيء.

* * *

لا أفكر بشيء
وهذا الشيء المركزي، الذي هو لا شيء
يهدهدني كما هواء الليل

الندي، الذي يقف على تضاد مع صيف النهار الحارق.

* * *

لا أفكر بكل شيء.

وبما أنه لم يكن لدي أي مشروع، ربما كان هذا الكل، لا شيء.

* * *

أمضي حياتي وأنا أؤجل كلّ شيء - إلى متى؟

* * *

روحي بأسرها مصنوعة من التردد والشك. اللاشيء بالنسبة إليّ ليس - وربما لا يمكنه أن يكون - إيجابيًا؛ كلّ شيء يتأرجح حولي، وأنا معه؛ لست سوى عدم يقين. كلّ شيء بالنسبة إليّ غير متناسق ومتبدل. كلّ شيء لغز وكل شيء له معنى. كلّ شيء هو رمز «معلوم» عن المجهول.

* * *

ما عدا الأمور الثقافية التي وصلت فيها إلى خلاصات أعتبرها يقينية، أبدل رأيي عشر مرات باليوم؛ لا روح ثابتة لدي إلا للأمور التي لا تحتمل إمكانية العواطف.

* * *

أحرث بغض أفعالي كزهرة أينعت في بناء زجاجي.

* * *

مقتنع بشدة من عدم الجدوى المطلق لكل جهد ومن السخرية العاقة لفعل الكتابة الأساسي.

* * *

أكتب إليكم لأقول إني لا أستطيع الكتابة.

* * *

متى تنتهي إذًا هذه المأساة التي من دون مسرح؟
أو هذا المسرح الذي بدون مأساة؟
متى أعود إلى منزلي؟
أين؟ كيف؟ متى؟

* * *

أنا الخشبة الحيّة التي يمر فوقها عدة ممثلين يلعبون مسرحيات كثيرة.

* * *

ما أشاهده هو عرض على خشبة أخرى. ما أشاهده هو أنا. يا

إلهي. يا إلهي، إلامَ أنظر أنا الآن؟ كم أنا عليه؟ من أنا؟ ما هذه المسافة التي تنساب بيني وبيني؟

* * *

يحدث لي أحيانًا أن لا أعرف نفسي: وهذا أمر مألوف عند الذين يعرفون أنفسهم. أتابع في داخلي حفلات التنكر المتعددة التي تجعلني على قيد الحياة. لا أملك ـ من كلّ ما يتبدل ـ إلا الذي يبقى على حاله دائمًا؛ فمن كلّ الذي يحدث هناك اللاشيء.

* * *

لا أنوجد إلا متنكرًا

* * *

اخترعت داخلي شخصيات متعددة. اخترع شخصيات بشكل دائم.

* * *

بصفتي شاعرًا، أحس؛ بصفتي شاعرًا دراميًا، أحسّ بأن أنزع نفسي عن نفسي؛ بصفتي مسرحيًا (من دون أن أكون شاعرًا) أحول آليًا ما أحسّ به إلى عبارة غريبة عمّا أحس به، بانيًا في هذه العاطفة شخصًا غير موجود ربما لم يحس بها وهو بذلك،

يبرهن ـ حتى وإن كانت بعيدة عني ـ عن عواطف ليست أنا، عن أمر ليس سوى أنا، وبذلك أكون نسيت بأن أحسّ.

* * *

ليس هناك في الفن لا فلسفة ولا أخلاق ولا حتى علم جمال، وهي غير موجودة في الحياة. في الفن، ليس هناك سوى أحاسيس والوعي بها. الله هو أحد أحاسيسنا.

* * *

الله هو مسافة ساحقة،

لكن بين ماذا وماذا؟...

* * *

بين الشجرة ورؤية الشجرة

أين يوجد الحلم؟

بين الذي يحيا والحياة

من أي جهة يسيل النهر؟

* * *

أنا هذه المسافة بيني وبين نفسي.

* * *

دائمًا ثمة شيء مقابل شيء آخر،
دائمًا ثمة شيء أتفه من غيره
دائمًا المستحيل أحمق من الواقع
دائمًا السر في العمق، أكثر ثقة من نعاس السرّ الذي يقابلنا
دائمًا هذا أو دائمًا ثمة شيء آخر، أو لا هذا ولا ذاك.

* * *

حين أبدو أني لست على توافق مع نفسي
انتبهوا جيدًا:
لو استدرت إلى اليمين
ها أنا أستدير إلى اليسار
لكني أنا نفسي دائمًا، مزروعا بقدميّ..

* * *

بعيدًا عني أوجد في نفسي.
خارج من أكون،
الظل والحركة التي بها أنوجد.

* * *

أن نتكلم معناه أن نكن اعتبارًا كبيرًا للآخرين. عبر الفم تموت الكثير من الأسماك وأوسكار وايلد.

* * *

الحياة قصيرة، الروح واسعة:
أن نمتلك، معناه أن نتأخر.

* * *

قررت الحد الأدني، بالنسبة إلى هذا الوضع الذي أسميه الثبات الاقتصادي، تقريبًا ستين دولارًا، أربعين من أجل الضروري، وعشرين من أجل الكماليات.

* * *

بقدر ما أعرف أو بالأحرى بقدر ما لاحظت، ليس هناك سوى الطفر (في هذه اللحظة) أو الطقس العاصف (إن دام لفترة طويلة) اللذين يشعرانني بالإحباط.

* * *

تعرفون إلى أي حدّ يمكن لنا أن نكون مشتتين من جراء تراكم متاعب كبيرة. غالبًا ما تكون واحدة منها، كبيرة، لا تساوي سبع أو ثماني متاعب صغيرة كي نتمكن من أن نتشتت من أنفسنا.

* * *

صائد الأسود يتوقف عن عيش المغامرات بعد الأسد الثالث.

* * *

الاصطناعي هو الطريق الذي يسمح بتقريب الطبيعي.

* * *

الاصطناعي هو الطريقة للتمتع بالطبيعي. الذي لم يضطر على أمر ما لا يمكنه أن يشعر بالحرية.

* * *

ما حاجتنا إلى بيانو؟
الأفضل أن نملك أذنين
وأن نحب الطبيعة.

* * *

التفكير بوردة معناه أن نراها ونتنشقها
أكل فاكهة معناه أن نلتذ بمذاقها.

* * *

أنا أكتب نثر أشعاري
وهذا ما يجعلني سعيدًا لأني أعرف بأني أفهم الطبيعة من الخارج
وبأني لا أفهمها من الداخل
لأن الطبيعة ليست في الداخل
وإلا لما كانت طبيعة.

* * *

البحيرة في قريتي لا تجعلنا نفكر بشيء.
ما هو قريب منها هو قريب منها فقط.

* * *

سألت معلمي كايرو فجأة «هل أنت سعيد من نفسك؟» وأجابني «لا، أنا سعيد». كان صوت الأرض، أرض كلّ واحد منّا.

* * *

غموض الأشياء؟ وما أدراني بها!
الغموض الوحيد يكمن في أن هناك من يفكر بالغموض.

* * *

المعنى الوحيد الحميمي للأشياء
يكمن في أن ليس لها أي معنى حميم.

* * *

الطبيعة مؤلفة من أجزاء بدون وحدة.
هاكم ربما الغموض الشهير الذي نتحدث عنه.

* * *

لا أدرك الأشياء على أنها لا نهائية. كيف ترغبون في أن أدرك أي شيء على أنه لا نهائي؟

ـ اسمع، قلت له، تخيل فضاء. وما وراء هذا الفضاء هناك أيضًا الفضاء؛ وأبعد من هذا، هناك أيضًا واحد، وبعده ثمة آخر وآخر وآخر.. إلى ما لا نهاية..

ـ لماذا؟ سألني معلمي كايرو، وقفت مشدوهًا: «افترض أن ذاك توقف، صرخت بوجهه، ماذا سيكون هناك بعد ذلك؟

ـ إن توقف ذلك، فيما بعد، لن يكون هناك أي شيء، أجابني.

معلمي كايرو، كان الشاعر الوحيد في العالم الصادق بشكل كامل.

* * *

صادقة تلك الكتابات التي صنعت من أجل الإدهاش، وتلك التي، أيضًا ـ سجلوا ذلك جيدًا فهذا مهم ـ لا تتكئ على أي فكرة ميتافيزيقية أساسية، أي تلك التي لا يحدث فيها ـ وهي التي تشبه النفحة ـ أي مفهوم للثقل أو لغموض الحياة.

* * *

الجمال هو الاسم الذي نعطيه للشيء غير الموجود.

الذي أعطيه للأشياء في تبادل المتعة

التي تعطيني إياه.

إنها لا تعني شيئًا.

* * *

أنا في طور كتابة أبيات لطيفة حقًا

أبيات تقول إن ليس لدي شيء لأقوله

أبيات تنهمك في قوله

أبيات، أبيات، أبيات، أبيات، أبيات، ،

الكثير من الأبيات

والحقيقة كلها، والحياة كلها، خارج ذاتيهما وخارجي أنا.

* * *

الصدق هو العقبة الكبيرة التي على الفنان أن يثنيها

* * *

كل ما نراه، علينا أن نراه دائمًا للمرة الأولى، لأننا في الحقيقة نراه للمرة الأولى.

* * *

آه، بالنسبة إلي، الرؤية هي بمثابة انحراف جنسي.

* * *

لتسقط كلّ جماليات القلب: أنا شخص صاف. اللعنة! أنا شخص صاف.

* * *

كل القصائد تُكتب دائمًا في اليوم اللاحق (للكتابة).

* * *

الشاعر شخص متصنع.
يتظاهر بشكل كامل
لدرجة أنه يتظاهر بأنه يتألم
من الألم الذي يشعر به حقًا.

* * *

علينا أن نشعر بالتعاسة من وقت إلى آخر
كي يمكن أن نكون طبيعيين

* * *

الأرض مصنوعة من سماء
ليس للكذب أي عشّ
ولا مرّة تاه أحد
كل شيء حقيقة وطريق

* * *

التصنع هو معرفة الذات

* * *

أبدل شخصيتي رويدًا رويدًا. أغتني (ربما يكمن التطور هنا).

* * *

لا أتطور: أسافر.

* * *

الجسد ظلّ الملابس

التي تلف كينونتك العميقة.

* * *

لكثرة ما تعرّيت من كينونتي الخاصة، أصبح الوجود، بالنسبة إليّ، أن أرتدي الثياب.

* * *

الحرارة، مثل ثياب غير مرئية، تعطينا الرغبة في أن ننزعها.

* * *

أتخيل بأننا سنصبح مناخات، يرفرف فوقها الوعيد بعاصفة تنفجر بعيدًا.. فراغ الأشياء الجسيم، النسيان الكبير الذي سيحدث في السماء وعلى الأرض.

* * *

يهب الهواء... بداية، ثمة صوت في الفراغ... تنفس فضاء في قعر حفرة، نقص في صمت الهواء.

* * *

العاصفة: شعرت بالقلق، هنا، في الحال. فجأة توقف الصمت عن التنفس... لم يعد وعيي يرى سوى خلطة حبر على الورق.

* * *

مخرج نيوتن ذو الحدين جميل مثل فينوس، لوحة ميلو.
المشكلة أن قلة من الناس تنتبه لذلك.

o-o-o---------o-o-o-o-o-o-o-o-o------o--o

(إنها الريح، في الخارج)

* * *

ثمة برق بهرني اليوم من الوضوح. لقد ولدت.

* * *

كلا: لا أريد شيئًا.
قلت لكم ذلك، لا أريد شيئًا.
لا تحاولوا استنتاج العبر!
العبرة الوحيدة هي في أن نموت.

* * *

الحياة، هي أن ننتمي إلى آخر. الموت، هو أن ننتمي إلى آخر. الحياة والموت سيّان. لكن الحياة هي أن ننتمي إلى آخر من *الخارج* والموت إلى آخر *من الداخل*. الأمران يتشابهان سوى في أن الحياة هي الجانب الخارجي للموت.

* * *

الموت هو منعطف الطريق،

الموت، أن نختفي عن الأنظار فقط.

* * *

الأفضل أن نكتب من أن نجرؤ على العيش، بالرغم من أن الحياة ليست سوى أن نشتري الموز من على الشمس، هذا طالما بقيت الشمس وطالما هناك موز للبيع.

* * *

لن يفتقدني أحد إن مت: لن يقال:

منذ الأمس تغيرت المدينة.

* * *

من الضروري أن نبحر، العيش ليس ضروريًا...

العيش ليس ضروريًا: الضروري هو أن نبدع.

* * *

حين أعتبر كم هو واقعي وحقيقي، بالنسبة إلى المجنون، محتوى جنونه، فأنا لا أستطيع إلا أن أوافق على جوهر تصريح بروتاغوراس(*) هذا: «الإنسان هو مقياس كلّ شيء».

* * *

لا وجود للمعايير. البشر بأسرهم هم استثناء لقاعدة غير موجودة.

* * *

علينا الانطلاق من الكائن الفرد دائمًا، حتى وإن توجب أن نهجره في ما بعد.

* * *

كان ديوجين (بقنديله المشتعل في وضح النهار) يبحث عن إنسان؛ أما أفلاطون فلم يكن يبحث عن شيء.

* * *

الآلهة هم التجسيد لما لا يمكن لنا أن نكونه أبدًا.

* * *

(*) «زعيم» الفكر السفسطائي، إذ أسست أفكاره أساس ما جاء به السفسطائيين من بعده.

أن لا يكون هناك رب، فهذا رب بدوره.

* * *

الله هو أن نكون موجودين، وأن كلّ شيء لا يُحال إلى ذلك بأسره.

* * *

الطبيعة، هي الاختلاف ما بين الروح والله.

* * *

كن بأكملك في كلّ شيء، لأن كونك كاملا في كلّ شيء، هي الطريقة المثلى للتصرف. كلّ الطرقات تؤدي إلى المكان ذاته.

* * *

يحدث أن تسوطني تطلعاتي وأفكاري بالخوف والدهشة: حينذاك أتبين كم أن جزءًا صغيرًا مني يظهر لي حقًا.

* * *

ما من أحد يفهم أحدًا. كلّ شيء صُدفة، فجوة، لكنهم يتناغمون جميعًا بتكامل.

* * *

كل ما يعرضه الإنسان، يُعبّر عنه، ليس سوى ملاحظة على هامش نص ممحوّ بالكامل. يمكننا، إلى حدّ ما، ووفقا لمعنى الملاحظة، أن نستنتج ما يمكن أن يكون عليه معنى النص: بيد أن شكًا يبقى حاضرًا دائمًا فكلّ المعاني الممكنة متعددة.

* * *

لا شيء موجودًا، الكل يصبح آخر.

* * *

كن متعددًا مثل الكون.

* * *

ما يلزمنا، أن يتضاعف كلّ واحد من خلال نفسه.

* * *

علينا أن نعطي لكل عاطفة شخصية، لكل حالة نفسية، روحًا.

* * *

كل ازدواج للأنا هو ظاهرة تنبثق في العديد من حالات الاستنماء.

* * *

في مسرح الحياة، من يلعب دور الرجل المخلص هو، بعامة، من يلعب دوره بشكل أفضل.

* * *

كم يكلفنا الإخلاص غاليًا حين نكون أذكياء! هكذا علينا أن نكون شرفاء في طموحنا.

* * *

الجنون، وبعيدًا عن كونه أمرًا شاذًا، هو الشرط الطبيعي للكائن البشري. إن لم نكن نعي جنوننا، وكان معتدلاً، فهذا معناه أننا طبيعيون. إن لم نكن نعيه وكان غير محدد، فنحن مجانين. أما إذا وعيناه، وبقي معتدلاً، فنحن بشر بدون أوهام. إن وعيناه وكان غير محدد، عندها، نكون عباقرة.

* * *

إن بدأ كلب بالتفكير مثلنا (فرضية غير قابلة للتحقق)، عندها يصبح كلبًا أكمل من الكلاب الأخرى، ومع ذلك، من المحتمل جدًا أن تقتله هذه الكلاب الأخرى، إذ ستعتقد أنه مجنون.

* * *

الإنسان أنانية لَطَفتْها البلادة. الحيوان أيضًا.

* * *

لا يفقه الإنسان شيئًا أكثر من الحيوانات؛ بل يعرف أقلّ منها. إنها تعرف كلّ ما هي بحاجة إلى معرفته. أما نحن، فلا.

* * *

الإنسان حيوان يرغب في أن ينوجد.

* * *

نحتقر ما نحن عليه تقريبًا.

* * *

نحن انمساخ الحماقة الماضية.

* * *

أي مأساة في عدم الإيمان باكتمالية الإنسان!... وأي مأساة، في الإيمان بها!

* * *

المرض هو شكل من أشكال الصحة. الإنسان السليم، إن كان موجودًا، سيكون أكثر الكائنات التي نجدها شذوذًا.

* * *

يعرف المحللون النفسيون (أحيانًا) كيف تعمل النفس المريضة، لكنهم يجهلون كيف تعمل النفس السليمة.

* * *

التفرد هو أحد أشكال عدم المساواة ـ أيّ ليس واقع أن يُظهر إنسان هذه السمة أو تلك، التي تميزه أكثر عن الآخرين، لكن أن يكون، ببساطة، مختلفًا عنهم.

* * *

أشعر بتعب شديد لأني وجدت بأنني لن أجد شيئا. النهاية هي حصيلة ما نحن عليه. لقد قال الواعظ ذلك: «زهو النفس وبلواها»(*).

* * *

الحياة، تعب حقًا! لو كان هناك فقط، نمط آخر للحياة!

* * *

الحياة أمر جدي فعلاً، مشكلاتها جسيمة حقا، لدرجة أن لا أحد له الحق بأن يسخر منها. لو ضحكنا لكنّا حمقى ـ على الأقل للحظة. البهجة هي الشكل التخاطبي للحمق.

* * *

(*) سِفر الجامعة.

الشرّ في كلّ مكان على الأرض، وأحد أشكاله السعادة.

* * *

نعذب اخوتنا البشر ببغضنا، بحقدنا، بخبثنا، لنقول بعد ذلك: «العالم سيء».

* * *

هل هناك من شيء أكره وأقذر من الخنزير؟ كلا، إن تحدثنا عن الأشياء الخارجية فقط.

* * *

أقول لكم: أحسنوا صنيعكم. لماذا؟ ماذا ستكسبون من ذلك؟ لا شيء، بالتأكيد لا شيء. لا المال ولا الحب ولا الاعتبار ولا حتى، ربما، سلام الروح. ربما لن تكسبوا شيئًا من ذلك كله. إذًا لِمَ أقول لكم: أحسنوا صنيعكم؟ لأنكم لن تكسبوا من ذلك شيئًا. لهذا السبب بالضبط يستحق الأمر العناء.

* * *

لا تخشوا بأن ينهار المجتمع من جراء المغالاة بالغيرية(*). لا خطر البتّة، من هذه الناحية.

* * *

(*) حُب الغير.

الشهوة في إعطاء الحق للخصم.

* * *

الشهوة في الاحتقار لا يمكن لها أن تساوي رؤية أنفسنا وهي تحتقر.

* * *

إن توقفوا يومًا عن إيجادي سخيفًا، فسأُذهل من رؤيتي، عبر هذه الشارة الموضوعية، في عزّ الإنهيار الذهني.

* * *

الخجل هو أسخف الظواهر.الشيء الأسخف في داخلنا جميعًا، الخوف من أن نكون سخفاء.

* * *

الشجاع الذي يتخطى الخوف يحمل في داخله عظمة أكبر من الذي لا يعرفها. يبدأ الأول من الداخل؛ أما الآخر فخارجي بشكل كامل. يواجه الثاني الخطر، أما الأول فيواجه، قبل أي شيء، الخوف الذي يرزح في أعماق الروح.

* * *

العدالة بالنسبة إلى الطيبة تشبه العفة وما تمثله للخجل الجنسي.

* * *

أن يكون المرء صارمًا، معناه أنه لا يعرف كيف يخفي تعاسته بكونه غير محبوب.

ليست الأخلاق سوى خبث الرغبة الضغينة.

* * *

الأخلاق اللامبالية، الأخلاق من أجل الأخلاق، أمر يحمل نوعًا من التصوف، إذ أنها ليست طبيعية، ولا عادية.

* * *

التقشف، أو السيطرة على الذات المدفوعة إلى اقصى أطراف الروحانية.

* * *

التصوف ليس سوى الطريقة الأكثر تعقيدًا لأن يكون المرء مخنثى ومنحطًا. إنها الجانب الوحيد المفيد لعدم الإفادة.

* * *

ليس ذلك كله سوى انحطاط : حتى أنه ليس هناك من هو أكثر انحطاطًا.

* * *

المال، هذا الجاسوس الكريه للمثالية، هو تحت تصرف الواقع.

* * *

أن ندخن سيجارًا غالي الثمن ونحن نغمض أعيننا ـ هذا هو الغنى.

* * *

المستقبلية ليست، في نهاية المطاف، إلا صورة فوتوغرافية مجردة للأشياء. إذ أن الفن بأسره، مهما كان عليه، ومهما ابتعد في سعيه، ليس سوى صورة مضادة وملموسة بشكل كامل.

* * *

نملك كلنا بعض هذه اللحظات المستقبلية، كما على سبيل المثال، تلك اللحظة التي نتعثر فيها بحجر.

* * *

سينتهي الأمر بعصرنا الصناعي بإنتاج شيء ما.

* * *

أنتمي إلى جيل ـ ولنفترض أن هذا الجيل يضم أعضاء آخرين غيري ـ فقد إيمانه، بشكل كامل بآلهة الأديان القديمة، والإيمان بآلهة اللا أديان المعاصرة. لم يعد باستطاعتي القبول بجيهوفا ولا بالإنسانية. المسيح والتقدم هما بالنسبة إليّ لغزان يقومان من العالم عينه. لا أومن لا بالسيدة العذراء ولا بالكهرباء.

* * *

بدأت الشكوكية مسيرتها بكونها غير موجودة، ومن المحتمل أن ينتهي بها الأمر بالطريقة عينها.

* * *

جوهر التقدم هو الانحطاط. أن نتطور، يعني أن نموت، لأن الحياة هي الموت.

* * *

هذه الثقة الحزينة بالمستقبل.

* * *

الحياة شرّ جدير بأن نتذوقه.

* * *

تأملوا الأفضل واستعدوا للأسوأ: هذه هي القاعدة.

* * *

الألغاز الحقيقية هي ألغاز الأمل.

* * *

للتشاؤم جانب جيد بكونه مصدر حيوية.

* * *

الخطأ الأخطر الذي يمكن للبشر أن يرتكبوه يكمن في كونهم يرغبون في القفز فوق درجات التطور الذي تريده الطبيعة، إذ يريدون اليوم تحقيق ما تركته الطبيعة للغد.

* * *

... امبرياليات الصُدفة والفوضى المنظمة.

* * *

في النهاية هي قصة الدوافع وخُطب الله خلال فترة قصيرة.

* * *

الله هو أجمل مزحة قام بها الله ذاته.

* * *

الله هو مفهوم اقتصادي. إذ في ظله يؤسس كهنة الأديان جميعًا بيروقراطيتهم الميتافيزيقية.

* * *

أكان هناك آلهة أم لك يكن، إننا عبيدهم دائمًا

* * *

جهنم والسماء يستمران بالوجود. إنهما أبديان.إن حملناهما من السماء فسنجلبهما إلى الأرض.

* * *

لقد خسرنا شيئًا ما حين ربحنا الجنّة المفقودة.

* * *

الموت ـ حتى وإن كان ربما من وجهة نظر جسدية ـ ألن يكون نوعًا من الولادة، ربما ولادة غير المكتمل الصافي لشكل مكتمل، لشكل صاف.

* * *

الأزمة التي تحرق روحنا، عبر عنها أنتيرو[١] أكثر من أي شاعر آخر، لأنه كان يمتلك، وبالدرجة عينها، ارتفاع الأحاسيس وارتفاع الذكاء. إنها الأزمة بين الحاجة العاطفية للإيمان والاستحالة الثقافية للإيمان.

* * *

الكاثوليكية هي دين الترياق، تمامًا كما الإلحاد أو التفكير الحر هما وهم الصيدلة.

* * *

---

(١) أنتيرو دو كوينتال، الشاعر البرتغالي الأكبر للجيل الرومنسي الثاني.

البحر هو دين الطبيعة.

* * *

الإيمان، هو خداع النفس. أن لا نؤمن فهذا لن يفيد بشيء.

* * *

كل ما هناك من طيبة أو من سوء في معتقد ما، في أيّ معتقد، هي الطريقة التي نؤمن بها. الخير والشر موجودان في نفسية المؤمن لا في الإيمان.

* * *

ستبقى الرؤية دائمًا أفضل استعارة للمعرفة.

* * *

الرؤية هي ملمس الروح.

* * *

بالنسبة إلى الملمس ـ معنى داخلي ـ ما هو النظر إذًا؟ ملمس تخاطري؟ ملمس عن بعد. ما من شيء أكثر غموضًا من ذلك ـ النظر! النظر! النظر! من يستطيع أن يفهم ذلك؟

* * *

الأرواح التحليلية بشكل كبير لا ترى إلا العيوب: كلما كانت العدسة أقوى، كلما بان لنا الشيء المنظور أقل وضوحًا. التفصيل دائمًا مزعج.

* * *

يرتكز العلم على الرغبة في تكييف حلم صغير مع حلم أكبر.

* * *

أشك، إذًا أنا موجود.

* * *

اللاأدرية(*) الصافية أمر مستحيل. اللاأدرية الوحيدة الممكنة، التجاهل.

* * *

الحياة هي تردد بين تعجب وتساؤل. في الشك، نضع نقطة النهاية.

* * *

(*) أو اللاغنوصية، مذهب القائلين بإنكار قيمة العقل وقدرته على المعرفة.

كل جُمل كتاب الحياة، إن قرأتها حتى النهاية، تنتهي بنقطة استفهام.

* * *

لا أشعر بأن وعيّ يعذبني، ما يعذبني وعيي بوجودي.

* * *

الذاكرة هي الوعي الواقع في تدفق الزمن.

* * *

الوعي هو أكبر معجزة للاوعي.

* * *

لكن كيف لي أن أعرف بأني واع؟ هل أعي بأنني أعي؟ هل هذا ممكن؟

* * *

لا يزال التفكير أفضل وسيلة للهرب من الفكر.

* * *

ليس الإحساس سوى فكر شاذ

* * *

ليس الله من اخترع العالم بل العالم هو من اخترعه

* * *

بدءا من اللحظة التي نحس بها بوعي خلق العالم، نشعر بأننا الله.

* * *

ليس الكون سوى حلمه الخاص

* * *

ميزة الرموز أنها لا تزعج أحدًا

* * *

يصف العلم الأشياء كما هي عليه. أما الفن فيصفها كما نشعر بها نحن ـ بالأحرى مثلما نشعر كيف يجب أن تكون عليه.

* * *

الأساسي في الفن يكمن في التعبير. ما تمّ التعبير عنه لا أهمية له.

* * *

الفن هو التعبير عن الذات التي تناضل كي تنجح في الوصول إلى المطلق.

* * *

الفن من أجل الفن، ليس في الواقع، سوى أن الفن هو من أجل الفنان نفسه.

* * *

لا أسوأ من فن أولئك الذين يموتون سوى فكر أولئك الذين لم ينوجدوا مطلقًا.

* * *

أفضل الهزيمة التي تعترف بجمال الورود على الانتصار في صحراء.

* * *

تجاهُل أننا نعيش
يملأ حياتنا كثيرًا

* * *

أسمع مرور الريح. أجد أن لا شيء أكثر من سوى سماع مرور الحياة، يستحق العيش.

* * *

أضيف للكون كونا آخر ـ لأنني أعطي للكون، الكون نفسه.

* * *

إنهم سعداء، لأنهم ليسوا أنا.

* * *

كبيرة هي الصحاري، وكلّ شيء قاحل ـ كبيرة هي الحياة، ولا تستحق أن تكون موجودة.

* * *

إن كان شيء قد وجد، فلماذا احتفى إذًا.

* * *

أي راحة كبيرة في أن لا نملك أي سبب يدفعنا للراحة.

* * *

يا سجن الوجود، ألا يمكننا أن نتحرر منك ـ يا سجن العقل، ألا يمكننا أن نتحرر منك؟

* * *

الحب هو الأساس، الجنس ليس سوى حادث عابر.

* * *

من يرفض السير في المعركة، ليس شخصًا مهزومًا، ولكنه مهزوم نفسيًا لأنه لم يعارك.

* * *

دائمًا نكسب من العمل أكثر مما نكسب من الدعاية

* * *

الحرية في الاستبداد أمر يقف على النقيض من الحرية.

* * *

التمييز الحقيقي يقوم ما بين المتكيفين وغير المتكفيين: الباقي ليس سوى أدب.

* * *

لا شيء أثقل أكثر من محبة الآخرين.

* * *

أي رجل عبقري ليس مهووسًا بحس أنه ذو مهمة؟

* * *

لا يمكن للجوع أن يهدأ إلا بالطعام، والجوع إلى خلود أرواحنا إلا بالخلود عينه.

هذان الجوعان يشكلان غريزتين حقيقيتين.

* * *

الحب عيّنة عابرة عن الخلود

* * *

أحسّ بقيمتي، لأننى ولدت
كي أصغى إلى هبوب الريح فقط

* * *

أن تبقى وحيدًا، يعني أن تبقى طاهرًا وصادقًا في روحك. الإنسان ـ هذا الكائن الجماعي ـ كائن فاسد.

* * *

الجمال إغريقي
لكن فكرة أنه إغريقي، فكرة حديثة.

* * *

لا أريد الحقيقة، بل أريد الحياة فقط.

* * *

أن تحدد الجمال ليس معناه أن تفهمه.

* * *

مجردة جدًا فكرة كينونتك

❋ ❋ ❋

من عمق هذا الغسق الداخلي الحزين الذي أعبره
أحس بأني أحلم، بأني أشعر بوجودي.

❋ ❋ ❋

وبالنسبة إليّ، أنت كالحلم،
ترنّ في البعيد داخل روحي.

❋ ❋ ❋

كما لو أن الحياة تملك أسبابًا أخرى غير الحياة..

❋ ❋ ❋

آه لو يمكنني أن أكونك وأبقى أنا نفسي

❋ ❋ ❋

في هذا الإحساس المتحرك للمياه
أشعر بكل الثقل الذي أنا عليه...

❋ ❋ ❋

أحيانًا أنا الإله الذي أحمله داخلي:

حينذاك أكون الإله والمؤمن والصلاة
والصورة العاجية
حيث ننسى هذا الإله.
أحيانًا لا أزيد أكثر عن ملحد
بهذا الإله الشخصي الذي أكونه في نشوتي.
أتأمل في داخلي سماء بأسرها
وهي ليس سوى سماء عالية وفارغة.

* * *

من كينونتي كلّها، أنا فارغ وباطل.

* * *

لست أنا، لا أعرف شيئًا،
لا أملك شيئًا، ولا أذهب إلى مكان.
أنومُ حياتي
في قلب ما لا أعرف.

* * *

كلّ شيء هنا حيث لست موجودًا.

* * *

لا أعرف بما أفكر فيه لكن أيّ سعادة
في التفكير بذلك.

* * *

لست شيئًا إن لم يكن هذا التناغم
الداخلي ما بين الوجود والاستماع
إلى الموسيقى التي تُغَنّيكَ، التي تُثنيكَ
عن الحياة، عن هذه اليقظة عديمة الفائدة
التي يعتقدونها مفيدة، إحساس ميت
حقيقي، مرّ
لكن روحي تظنه مفيدًا بدون جدوى.

* * *

أيّ ألم؟ لا أعرف. من يدعي معرفة ما يشعر به؟

* * *

لم أكن أنا، لأنني لا أجرؤ على قوله لك.
ولم أكن آخر، إذ أنني أجهله.

* * *

أريد أن أحلم بكِ، لا أن أحبك

* * *

ها أنا عندي مخرجي المنهمك
في أعمق أعماقي،
طافيًا على بحر وجودي
الميت

* * *

كل شخص منا يعيش حياتين: واحدة في الحلم، وأخرى تقودنا إلى القبر

* * *

إن فكّر القلب فسيتوقف عن النبض

* * *

الفكرة، التي أظنها
خاتمةً لأفكاري،
تغفو في متعتي الطيّبة
مثل طحلب في الماء.

* * *

حين أنظر إليّ، لا أفهمني.
لكثرة ما تتملكني عادة الإحساس
أتوه أحيانًا عندما أفارق

الأحاسيس التي أشعر بها.

* * *

الهواء الذي أتنشقه، هذا الخمر الذي أشربه
هما حصتي من الوجود...

* * *

حتى أمام أحاسيسي، أبدو قليل الإيمان.

* * *

لا قيمة لأقاصيص الإحساس هذه
إلا حين لا ننظر إليها أبدًا..

* * *

الساعات الجميلة
هي ساعات الآخرين أو تلك، غير الموجودة.

* * *

من الأبدي والجمال، لاشيء سوى الحلم...

* * *

كم سيبدو جيدًا لو أن

هناك حالة ثالثة للروح، فيما لو أن لها حالتين...
حالة رابعة للروح، لو كان لها حقًا حالة ثالثة...
استحالة كلّ ما أنجح في حلمه
يضايقني في ما وراء وعيي بالأحاسيس...

* * *

لا أستطيع شيئًا كي تكون هناك أشجار لا تؤذيني...
لا أستطيع أن أتعايش، في الجانب الآخر، مع نفسي أنا الذي أنظر إليكم من هذا الجانب...

* * *

وهل أستطيع أخيرًا أن أنهض من على هذا المقعد تاركًا أحلامي على الأرض؟...

* * *

أحلّ الليل أم لم يحلّ، لا فرق إن لم يكن الشمعدان
مضاء بعد في المنازل التي لا أراها على التلّة.

* * *

الجمال هو اسم شيء غير موجود، لكني أطلقه على أشياء مقابل المتعة التي تمنحني إيّاها..

* * *

وإنّ حرية ممارسة الطغيان هي نقيض الحرية..

* * *

العمل يفضي دائمًا إلى أكثر من البروباغندا

* * *

من يرفض أن يخوض المعركة ليس بمنتصر، بل منتصر معنويًا لأنه لم يقتل..

* * *

مثلما نغسل أجسادنا، علينا أن نغسل قدرنا، أن نبدل حياتنا كما نبدل الشراشف.

* * *

سعداء هم من لا يأتمنون حياتهم لأحد..

* * *

لكلّ واحد منّا زهوه، ويتمثل هذا الزهو في نسيان أن للآخرين روحاً تشبه روحنا..

* * *

الواقع الوحيد بالنسبة إليّ: أحاسيسي.

* * *

أن ننتقل من أشباح الإيمان إلى أطياف العقل، ليس أكثر من تغيير زنزانتنا ببساطة.

* * *

أشعر بقرف جسدي من الإنسانية العارية، ومع ذلك فهي الوحيدة الموجودة.

* * *

بالنسبة إليّ ما من باقة تلمع تحت الشمس تساوي حزمة أضواء لشبونة.

* * *

تُشعرني الوحدة باليأس، تثقل الرفقة على كاهلي.

* * *

كل رسائل الحب سخيفة، لن تكون رسائل حب إن لم تكن سخيفة.

* * *

الحب هو الأساس، الجنس ليس سوى حادث..

* * *

كل مجهود هو جريمة، لأن كلّ عمل هو حلم مشلول.

* * *

أخفقت في كلّ شيء. كما لو أني كنت بدون طموح، ربما هذا «الكل شيء» لم يكن شيئا.

* * *

لا يشعر بحساسية جسد عار سوى أولئك الذين يرتدون ثيابًا.

* * *

ما تقوم به، افعله إلى أقصى حدّ.

* * *

غالبية البشر لديها أحاسيس اصطلاحية.

* * *

حين نسميه الله فإننا بذلك نقول كلّ شيء، لأن كلمة الله لا تمتلك أي معنى.

* * *

الحياة رحلة اختبارية، تتكامل بطريقة غير إرادية.

* * *

مساعدة شخص ما يعني أننا نعتبره غير جدير بالقيام بأي شيء، وإن لم يكن كذلك، فإننا نحيله كذلك أو نعتقد بأنه شخص غير جدير: في الحالة الأولى، يبدو الأمر بمثابة طغيان، وفي الحالة الثانية، احتقار. إما أننا نحدّ حرّية الآخرين؛ وإما أننا ننطلق ـ وبشكل لا واع ـ من مبدأ أن الآخر هو شخص حقير وبدون كرامة، أو أنه غير جدير بأن يكون حرًّا.

* * *

وصلت إلى مرحلة الشبع من العدم، إلى الامتلاء من اللاشيء المطلق. وهذا ما يدفعني إلى الانتحار، ولن يزد الأمر ـ عندها ـ عن وخز شبيه بذاك الذي يدفعنا إلى الاستيقاظ باكرًا.

* * *

ليس العذاب الأخلاقي هو من يدفعني إلى قتل نفسي: بل الفراغ الأخلاقي الذي يشكل قاعدة هذا العذاب.

* * *

كل عاطفة حقيقية تشكل كذبة تجاه الذكاء لأنها تهرب منه.

* * *

لا الرذيلة ولا التجربة هما من يفض بكارة الروح، بل التفكير فقط.. التفكير وحده يفض بكارة أكثر أشياء الكائن الحميمية.

* * *

لا تندهشوا من كلامي بهذه الطريقة. أنا شاعر بشكل طبيعي لأني الحقيقة التي تتحدث عن طريق الخطأ. وطيلة حياتي، في النهاية، هي نسق أخلاقي خاص، مقنّع بالاستعارات الرمزية ومزينة بالرموز.

* * *

الأفكار هي شيء ساحر في ذاتها وفي تناغمها.

بلحظة نجتاز عالمًا كاملاً ونضع اللانهائي بين فكرتين.

* * *

أظن في أغلب الوقت بأن ليست الأفكار هي العميقة مقابل الدموع، بل إن الدموع هي العميقة جدًا مقابل الأفكار.

* * *

المؤرّخ هو رجل يضع الوقائع في أمكنتها الحقيقية. لا يقول: هكذا حدث الأمر بل «بهذا الشكل» نقطة.

* * *

الدين، هو الهُنا غير الموجود فيه. إنه هُنا، وهُنا فقط، نجد أشجارًا حقيقية، ظلالاً حقيقية.

* * *

أي رجل عبقري ليس مهووسًا بمعنى أنه يملك رسالة!

* * *

الحبّ هو عيّنة عابرة عن الخلود.

* * *

وبينما أنني لا أفكّر بنفسي فكيف لي أن أفكّر فيك؟

* * *

يمكننا أن نموت إن لم يكن لدينا سوى أن نحب.

* * *

أن نحب يعني أننا تعبنا من أن نكون وحدنا: أي ثمة جبن في ذلك وخيانة تجاه أنفسنا.

* * *

إن أردتم أن لا تتعذبوا، اعزلوا أنفسكم. أغلقوا قدر المستطاع أبواب أرواحكم عن أنوار رفقة الآخرين.

* * *

لو عرفتم فقط أي حرارة أحاول إخفاءها خلف كل هذه

التفاهات. على فكرة، هل أنتم واثقون بأنني صادق حين أقول ذلك؟

* * *

كلّ يوم في حياتي هو أتعس يوم في هذه الحياة.
وكل حلم هو أجمل حُلم حلمت به.

* * *

أن نحدد الجمال، ليس معنى ذلك أن نفهمه.

* * *

كل متعة ليست سوى نزوة، لأن البحث عن المتعة هو ما يقوم به الجميع في هذه الحياة، والنزوة الوحيدة التي لا يمكننا مسامحتها، هي أن نتصرف مثل الجميع.

* * *

إن استطعت أن تُعبّر عن حبك الكبير، فهذا معناه أن حبك الكبير لم يعد موجودًا.

* * *

لا تفكّر أبدًا بما عِليك أن تقوم به. لا تقم به.

* * *

في صحراء هذا الرمل الأدبي، ما من واحة حتى لشرح ما.

* * *

وحدهم الذين لا يفكرون أبدًا ينجحون في إيجاد خاتمة. التفكير هو التردد. رجال الفعل لا يفكرون أبدًا.

* * *

الإيمان هو غريزة الفعل.

* * *

هذا التعب من كل الفرضيات.

* * *

الأعجوبة هي كسل الله، أو بالأحرى الكسل الذي نلصقه به حين نخترع الأعجوبة.

* * *

حين أناقش وجود شيء، فإنني بذلك أميّز بين الشيء ووجوده؛ بيد أنه بدون وجود، هذا الشيء يساوي لا شيء. لذلك لا يمكن لوجود شيء أن يكون موضوع مناقشة.

* * *

لا تعلّم شيئًا، لأن لديك بعد كل شيء لتتعلمه.

* * *

أناقة عدم الإيمان.

* * *

بدايةً كُن حرًا؛ من ثم طالب بالحرية.

* * *

أن نمتلك آراء، هو البرهان الأفضل على أننا غير جديرين بأن نمتلك آراء.

* * *

كل رأي هو بذاءة حتى وإن لم يكن صادقًا.

* * *

كل صدق هو عدم تسامح. ما من ليبيراليين صادقين. بالأحرى، ليس هُناك من ليبراليين.

* * *

الوحي الشعري هو هذيان متوازن (لكنه هذيان دائمًا).

* * *

علينا أن ننتهي من أسطورة شاعر الوحي.

* * *

الشاعر يساوي ما تساويه أفضل قصائده.

* * *

قصيدتان جيدتان معًا لا تملكان قيمة أفضل قصيدة بينهما.

* * *

الإنسان هو فوق المواطن. ما من دولة تساوي شكسبير.

* * *

العالم ليس حقيقيًا، لكنه واقعي.

* * *

الواقع هو الحركة المرئية ليدي الله غير المرئيتين.

* * *

ما نسميه المادة هو حلم ذكاء غير محدود.

* * *

إن كان يمكن لروحنا أن تفهم الأبدية أو اللانهاية، فسنعرف

عندها كل شيء. طالما أننا لم نقتنع بذلك، لا يمكننا أن نعرف أي شيء.

* * *

أتَفَهّم أن نكون مغرورين؛ لكن لا أفهم أن نُظهر ذلك.

* * *

تصرّف كما لو أن الله غير موجود، لكن من دون أن تنسى أنه موجود.

* * *

قال غوته، بصواب، إن رب كل إنسان شبيه بهذا الإنسان؛ ألا يمكننا القول إذًا أن ربّ أكبر البشر هو أكبر الآلهة؟

* * *

بالنسبة إلى كل فيلسوف، نجد أن الله من رأيه.

* * *

الله عقلاني لأن الله هو العقل بنفسه.

* * *

إن امتلكنا الورود فلا حاجة إلى الله.

* * *

المراجع

هذه الشذرات مستلة من كتب ورسائل بيسوا (وبدلائه) التالية، وهي التي كانت صدرت في طبعة عام ٢٠٠٢ عن دار نشر «Nova Aguilar» في لشبونة، وفق الترتيب التالي:

1 - Cancioneiro
2 - Do Livro do Desassossego
3 - Mensagem
4 - O Banqueiro Anarquista
5 - O Eu profundo e os outros Eus.
6 - O Guardador de Rebanhos
7 - O pastor amoroso
8 - Poemas de ?lvaro de Campos
9 - Poemas de Fernando Pessoa
10 - Poemas de Ricardo Reis
11 - Poemas em Inglês
12 - Poemas Inconjuntos
13 - Poemas Traduzidos
14 - Poesias Inéditas
15 - Primeiro Fausto

كذلك هناك شذرات مستلّة من كتابات بيسوا، وبخاصة الرسائل، وقد ترجمت عن الفرنسية من النصوص التالية:

16 - F. Pessoa, Pages sur la littérature et l'esthétique
17 - A.de Campos, Une autre note au petit bonheur..
18 - Lettre a un éditeur anglais (1916)
19 - Lettre a A.Cortes Rodrigues (1915)
20 - Lettre a un poete
21 - Lettre a R. de Carvalho
22 - Pages intimes et d'auto - interprétation
23 - Lettre a M. Baeiro (1914)
24 - Lettre a sa tante Anica (1916)
25 - Lettre a a A.Casais Monteiro (1935)
26 - Lettre a Sa - Carneiro
27 - Lettre aux frères Durville, psychiatres (الأصل بالفرنسي)

هذه الكتابات والرسائل كانت صدرت في كتاب «كتابات حميمية» وهي مختارات من رسائل ومقالات بيسوا صدرت بالبرتغالية بعنوان:

"Escritos Íntimos, Cartas e Páginas Autobiográficas, Europa-América, **Mem Martins** (Portugal), 1986 & in Pessoa Inédito, Livros Horizonte, Lisbonne, 1993."

وصدرت ترجمتها الفرنسية عن منشورات «لا ديفرانس» العام ١٩٩٦.